وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خيضر- بسكرة-

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية- قطب شتمة -

قسم العلوم الاجتماعية

شعبة فلسفة

تخصص فلسفة عامة

عنوان المذكرة:

فلسفة القيم في فكر جون ديوي التربوي

مذكرة تخرج مكملة لنيل شهادة الماستر في فلسفة
تخصص فلسفة عامة

إعداد الطالبة:

- سرار شيماء

إشراف الأستاذ:

- حميدات صالح

السنة الجامعية: 2018-2019

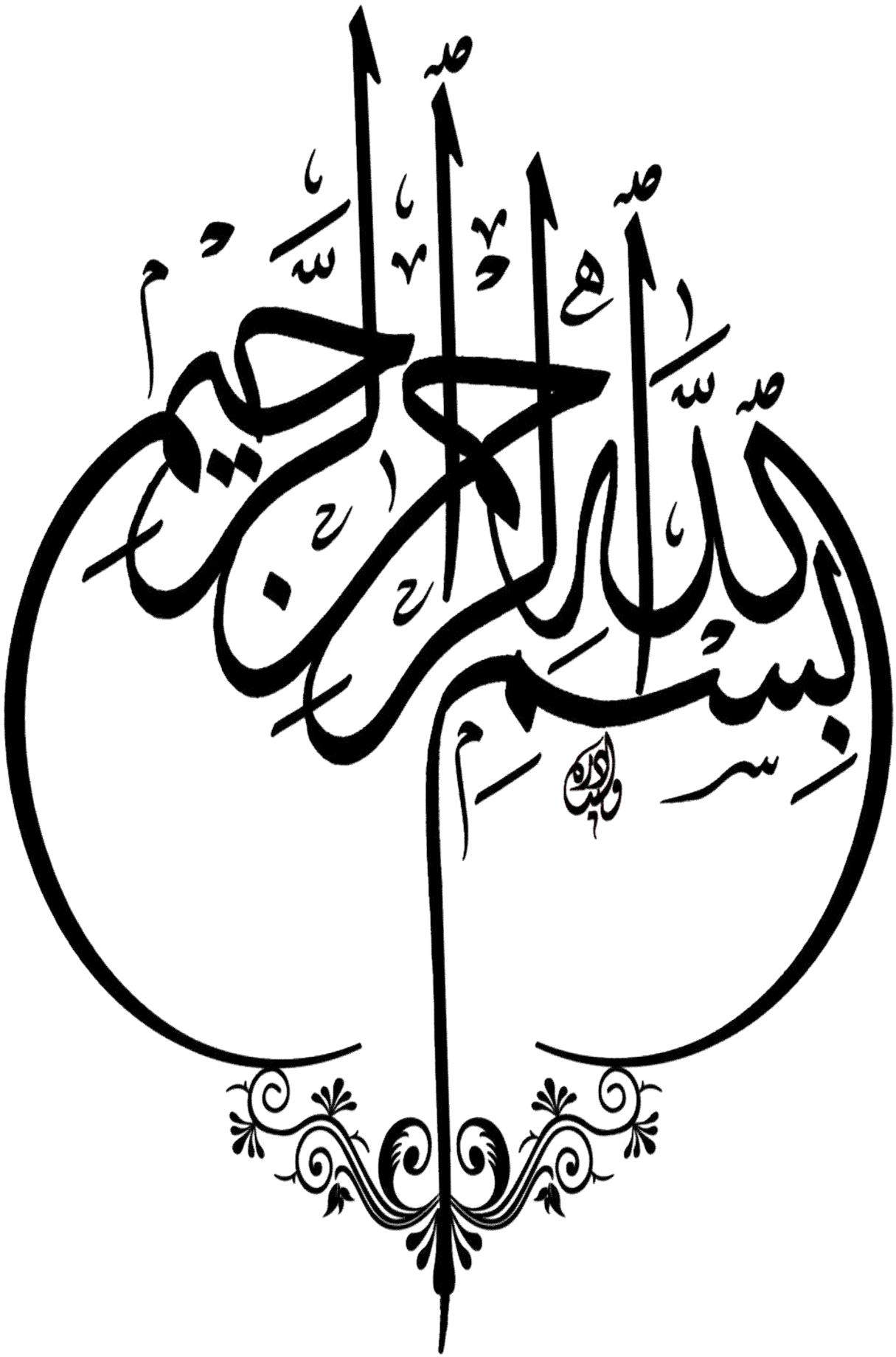
بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

أحمد الله عز وجل على منه وعونه لإتمام هذا البحث.

إلى من كلله الله بالهيبة والوقار.. إلى من علمني العطاء بدون انتظار.. إلى

من أحمل أسمه بكل افتخار...أبي الغالي أطال الله في عمره.

إلى ملاكي في الحياة.. إلى معنى الحب وإلى معنى الحنان والتفاني.. إلى بسمة الحياة وسر الوجود ... الى التي كانت سندي في الشدائد، وكانت دعواها لي بالتوفيق، تتبعتني خطوة خطوة في عملي... أمي الحبيبة.

إلى أخي وأخواتي الذين تقاسموا معي عبء الحياة.

إلى زوجي العزيز الذي دعمني وساعدني ...الى ملاكي وطفلتي الصغيرة الغالية التي أرى التفاؤل بعينها والسعادة في ضحكتها.

إلى أصدقائي رفقاء دربي من داخل الجامعة وخارجها.

شكر وعرفان

" كن عالما... فإن لم تستطع فكن متعلما، فإن لم تستطع فأحب العلماء، فإن لم تستطع فلا تبغضهم "

بعد شكر الله سبحانه وتعالى على توفيقه لنا لإتمام هذا البحث المتواضع أتقدم بجزيل الشكر والعرفان الى كل من أسهم في تقديم يد العون لإنجاز هذا العمل، وأخص بالذكر أستاذي الكريم الذي أشرف على بحثي الدكتور "حميدات صالح" الذي لن تكفي حروف هذه المذكرة لإيفائه حقه بصبره الكبير علي، ولتوجيهاته التي لا تقدر بثمن؛ والتي ساهمت بشكل كبير في إتمام واستكمال هذا العمل؛ فله مني وافر الثناء وخالص الدعاء.

كما أتقدم بجزيل الشكر إلى كل أساتذة قسم العلوم الاجتماعية شعبة الفلسفة، الذين كانوا عونا لنا في بحثنا هذا وزرعوا التفاؤل في دربنا وقدموا لنا المساعدات والتسهيلات والمعلومات؛ كما أتوجه بخالص شكري وتقديري إلى كل من ساعدني من قريب أو من بعيد على إنجاز وإتمام هذا العمل.

مقدمة

مقدمة

تعد فلسفة القيم أو ما تعرف بالاكسيولوجيا من أحدث الفلسفات التي عرفها تاريخ البشرية باعتبارها فلسفة شاملة تهتم بالإنسان وتعتبر مرجعا وموجها لسلوكه كما أنها تهتم بالموضوعات القيميّة التي نهتم بها عموما، حيث تتصدر القيم مكانا رفيعا في الفكر الفلسفي بصفة عامة وتحتل منزلة خاصة في الفلسفة المعاصرة، حيث ان القيم تعلي من الوجود الانساني له قيمة في البيئة التي يعيش فيها بممارسة النشاطات الاجتماعية حيث يصبح الانسان صالحاً أخلاقياً وروحيا كما انها تسعى الى بناء مرتكزات اجتماعية وفكرية وسلوكية واخلاقية.

وكغيرها من المفاهيم الفلسفية، فقد عرف موضوع القيم تطورا مهما طيلة تاريخ الفكر البشري بداية من الفكر اليوناني وما تلاها من عصور وصولا الى الفلسفة المعاصرة حيث عولجت القيم معالجات مختلفة حسب الطبيعة الاستخدامية كالمطلقية والنسبية والمعيارية وغيرها.

وهكذا فقد جذب هذا الموضوع طائفة من العلماء والفلاسفة المعاصرين فهناك من يرى ان القيم مطلقة وهناك من الفلاسفة خاصة الأمريكيين الذين نادوا بنسبية القيم فقد ظهر منهم من يحمل مشعل فلسفة القيم وهو الفيلسوف جون ديوي الذي ينتمي الى النزعة البراغماتية الذي ينادي بقيمة الحرية و قيم الأخلاقية وبقيمة الذكاء البشري في اصلاح المجتمعات كما ناد بنظرية التطور في الحياة العملية التي تضمن مجتمع مزدهر لدى افراد ومن هذه الإشارات لمفهوم القيم يتضح لنا من صعب تحديد معناها الا ان في هذا البحث الاكاديمي سنحاول تحديد مفهوم واضح للقيم وخاصة في نظر الفيلسوف "جون ديوي".

من خلال هذه الدراسة التي تطرقنا لها نصل الى تساؤلات حول ماهية المرتكزات فلسفة القيم عند جون ديوي التي ساعدته في بناء فلسفته؟ وما حقيقة فلسفة القيم في منظوره؟ وماهي الخلفية الفلسفية للقيمة عند جون ديوي؟ وفيما تحقق القيم الأخلاقية المعاصرة في مجالات الفن والاقتصاد والسياسة؟

وكان من دواعي اختياري لهذا الموضوع رغبة ذاتية في دراسة فكر جون ديوي وكيف حققت فلسفته في القيم تطورا وتغيرا في المجتمع المعاصر، كذلك اختياري لهذا الموضوع كان مؤسسا وفق ضرورة ملحة له وليس مجرد دراسة فله امتداد زمني وجدير بالاحترام لمدى تأثير فلسفة العملية على فلاسفة.

ومن أسباب الموضوعية لاختيار هذا الموضوع هو محاولة معرفة أراء فلاسفة وعلماء من تاريخ فلسفة القيم ومكانة جون ديوي فيها وموقفه منها ودورها في تطوير المجتمعات المعاصرة.

وكذلك من أسباب التي دفعتني للخوض في صلب فلسفة القيم لجون ديوي واكتشاف طبيعتها ودورها في تطوير المجتمعات في جميع المجالات دون أن أنسى توفر المصادر والمراجع فبضرورة قد يكون موضوعا كفيلا بالدراسة خاصة أنه أثرا صدى عند فلاسفة المعاصرين منهم جون ديوي.

وبدا لي أن هذه الدراسة ستقدم إضافة للمكتبة الجزائرية وفتح الباب لموضوع مهم لا يتطرق له الكثيرون لعله يكون حامل رسالة هامة للمجتمعات وتطوير مؤسساتها وازدهارها واضفاء قيمة لأخلاق العمل والشعوب في حياتهم اليومية.

لدراسة هذه الإشكالية اتبعنا المنهج التحليلي النقدي الذي يقوم على تحليل المحتوى المعرفي وذلك لإبراز حقيقة فلسفة القيم في فكر جون ديوي التربوي اذ توجهت الى مختلف مؤلفاته وتحليل أفكاره الفلسفية بغية استخلاص نظرته الفلسفية في القيم والاخلاق والمنهج النقدي باعتبار ظهور اراء مختلفة تبلور نظرة القيم في العصور القديمة مما أدى الى ظهور نقاد منهم جون ديوي لتبيين حقيقة فلسفة القيم ووظيفتها في تغير وتطور المجتمعات.

لمعالجة هذا البحث وتفرعاته ارتأيت الى تقسيمه الى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة حيث تضمنت المقدمة التعريف بالموضوع واهمية ودواعي اختياري له وضبط إشكالية البحث ومنهجه

وتحديد الخطة المعتمدة في إنجازه المتمثلة في ثلاث فصول حيث اشتمل كل فصل مجموعة مباحث جزئية حيث تطرقنا في الفصل الأول على فكرة رئيسية وهي "جون ديوي والعوامل المؤثرة في نشأته" حيث تضمنت هذه الفكرة أن نعرف بجون ديوي المفكر والفيلسوف وقدمنا نشأته واهم الوظائف التي قام بها وأيضا المرتكزات التي انطلق منها جون ديوي والتي اثرت على فلسفته، واتبعناها بعناصر واشكالات جزئية تكمل الفكرة الرئيسية الموجودة في الفصل الأول حيث كانت فكرة المبحث الأول حياة ديوي ومساره الدراسي ووظائفه التي قام بها بعد تطوير نفسه وكذلك اهم المؤلفات التي جاء بها المفكر والفيلسوف جون ديوي، أما فكرة البحث الثاني فقد تكلمنا على المرجعية الفكرية والتي تأثر بها جون ديوي وهي نظرية داروين ونظرية السلوكية وأخذنا نموذج "جون واطسون".

أما الفصل الثاني فقد تطرقنا الى فكرة رئيسية وهي أسس فلسفة القيم عند جون ديوي واتبعناها بعناصر واشكالات جزئية تكمل الفكرة الرئيسية الموجودة في الفصل الثاني حيث كانت فكرة المبحث الأول المدلول اللغوي والاصطلاحي للقيم اما المبحث الثاني الخلفية الفلسفية والتاريخية لمفهوم القيمة عند جون ديوي وكانت البداية في هذا المبحث مع العصر القديم ونظرته للقيم مع فلاسفة اليونانيين وأيضا مع فلاسفة عصور الوسطى ونهاية مع العصر الحديث مع المذهب البروتستانتية.

أما الفصل الثالث والاخير فقد ارتأينا الى فكرة رئيسية وهي النزعة القيمية بعد جون ديوي واتبعناها بعناصر واشكالات جزئية تكمل الفكرة الرئيسية الموجودة في الفصل الثالث والمتمثلة في الرؤية التجديدية للأخلاق في الفلسفة المعاصرة وفيها تطرقنا من ثلاث جهات وهي الفن والجمال وجهة الثانية الاقتصاد والأخيرة السياسة.

وهذا البحث ما كان ليكتمل لولا متطلباته التي حوتها جملة من المصادر والمراجع المعتمدة عليها وكذا البحوث الاكاديمية منها البار عبد الحفيظ مذكرة لنيل الماجستير في الفلسفة بعنوان فلسفة التربية عند جون ديوي والمصادر منها الديمقراطية والتربية، البحث عن اليقين، الحرية والثقافة وغيرهم ومراجع منها قصة الفلسفة من افلاطون الى جون ديوي، نوابغ الفكر الغربي جون ديوي، معيار العلم والأخلاق في الفلسفة البراغماتية.

وقد واجهتني بعض الصعوبات والعوائق التي بذلت ما في وسعي للتغلب عليها منها ضيق الوقت المعطى لإنجاز هذا البحث في الصورة العلمية المطلوبة كذلك فيما يتعلق تراكم الكم المعرفي فيما يخص الأفكار وطريقة عرضها وتقسيمها وتوزيعها على النحو الذي يخدم الخطة وهذا راجع الى طبيعة الموضوع.

وقد تمكنا بفضل الله في أخير من إنهاء هذا البحث بخاتمة تناولت الاستنتاجات الرئيسية التي وصلنا اليها في هذا البحث الذي يوضح طبيعة فلسفة القيم عند جون ديوي وأثرها في تطور وتغير المجتمعات المعاصرة من كل مجالات الحياة.

الفصل الأول

الفصل الأول

جون ديوي والعوامل المؤثرة في نشأته

أولا: جون ديوي المفكر والفيلسوف

1. **حياته ونشأته**
2. **مصنفاته**

ثانيا: المرجعية الفكرية لجون ديوي

1. **أثر نظرية داروين**
2. **أثر النظرية السلوكية "جون واطسن"**

أولا: جون ديوي المفكر والفيلسوف:

1. حياته ونشاته:

أ) مولده:

ولد جون ديوي بتاريخ 1859/10/20 في مدينة برلنجتون إحدى مدن ولاية فرمونت الواقعة في شمال الولاية متحدة الامريكية على مقربة من حدود كندا حيث قضى شطر كبير في مجال مطالعة والتدريس والتأليف، وخلال حياة ديوي تطورت الحياة في الولايات متحدة الأمريكية من مجتمع زراعي بسيط الى امة صناعية متحضرة معقدة، وقد طور أفكاره التربوية بشكل موسع استجابة للتطور السريع في فترة التغيير الحضاري[1].

عاش جون ديوي في أسرة ابوه من نسل المهاجرين الذين يشتغلون بشتى الصناعات كالغزل والنسيج والحدادة والزراعة فهم اعتمدوا على انفسهم في كسب المعاش حيث صارعوا الطبيعة حتى استنبتوا منها الزرع واستخرجوا من باطنها المعادن ولم يعتمدوا على المال المورث فهم يعولون في ذلك الصراع على استخدام أيديهم وعقولهم ، وقد ورثت الأجيال المتأخرة عن رواد المهاجرين الجرأة و الاقدام والاعتماد على النفس في كسب المعاش واستخدام العقل البشري في تسخير الطبيعة واعتبار النجاح المادي الملموس دليلا على صحة السبل المتبعة وهذه الصفة الأخيرة هي جوهر فلسفتهم المسمات بالبراغماتية [2] هذه الفلسفة التي تعتبر مذهب عملي نفعي ومن روادها بيرس وجيمس وجون ديوي ينتمي والده ارخيبالد الى طبقة المزارعين وقد جاء اسلافه الى أمريكا عام 1630 وامتهنت الفلاحة لذلك لم يستطع بحكم وضعه الاقتصادي ان يحصل على تعليم مدرسي منظم فشب ناقص التعليم وضعيف الثقافة المدرسية ماعد الحصول على

[1]، د. كفاء يحي صالد العسكري، الغزالي وجون ديوي نظرتهم الطبيعية والإنسانية، منشورات شبكة العلوم النفسية والعربية، العدد 2، سنة 2013، ص 36

[2]، د. احمد فؤاد الأهواني، نوابغ الفكر الغربي جون ديوي، ط3، دار المعارف، القاهرة، سنة 1968 ص 20

اوليات القراءة والكتابة غير أنه كمل نفسه بالاطلاع، فقرا شكسبير وملتون اذ كان يتغنى ببعض عباراتهما الأدبية التي حفظها على ظهر قلب وفي شيخوخته ترك الزراعة وامتهنا البقالة[1].

أما أمه لوسينا ريتش فقد كانت أعرق نسبا واوفر ثروة وأغزر علما وأرهف ذوقا، فقد بثت الأم في أبنائها محبة الثقافة والتعلق بأهداب التعليم والمضي فيه وهي المسئولة عن تحويلهم من الفنون العملية شطر التعليم الجامعي ولهذا نشأ جون ديوي محبا للقراءة عاكفا على الكتب يلتهمها التهاما من المكتبة العامة[2]، وتوفي في مدينة نيويورك بتاريخ 1952/05/20 على إثر اصابته بمرض ذات الجنب بعد ان عاش أكثر من تسعين سنة[3].

لقد اكسبته هذه السنوات التي عاشها في مدينة "فيرمونت" بساطة الحياة التي تميز هذه المنطقة وبقيت هذه البساطة ملازمة له، حتى في أيام مجده وذيوع شهرته وتمجيد العالم له[4] باعتباره من أبرز الفلاسفة والمفكرين ومن أهم رواد المذهب البراغماتي النفعي.

ب) تعليمه:

كان جون ديوي متفوق في دراسته منذ صغره حيث دخل المدرسة الابتدائية، وكان منطوياً على نفسه خجولاً قليل الاختلاط بزملائه ومدرسيه، وكان من أضعف الطلاب في دروسه فاتهم بالبلادة وضعف إلاّ أنه بعد ذلك أخذ بالتحسن وبالأخص في المرحلة الثانوية[5] إذ كان يحصل على المال عن طريق بيع صحيفة المساء التي تصدر في برلنجتون، والاشتغال بترقيم الاخشاب

[1]، د. احمد فؤاد الأهواني، نوابغ الفكر الغربي جون ديوي، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1968، ص36
[2]، المرجع نفسه، ص21
[3]، د. كفاء يحي صالد العسكري، الغزالي وجون ديوي نظرتهم الطبيعية والإنسانية، منشورات شبكة العلوم النفسية والعربية، العدد 2، سنة 2013، ص36
[4]، ول ديورانت، قصة الفلسفة من افلاطون الى جون ديوي، تر: د. فتح الله محمد لمشعشع، ط6، مكتبة المعارف، بيروت، 1861 ص625
[5]، د. كفاء يحي صالد العسكري، الغزالي وجون ديوي نظرتهم الطبيعية والإنسانية، منشورات شبكة العلوم النفسية والعربية، العدد 2، سنة 2013، ص37

التي ترد من كندا، هذا الا انه كان يشارك في أعمال البيت وفي أعمال الحقل حين يذهب عند أقارب أمه في الإجازة وقد اثرت هذه النشأة الأولى في فلسفته التربوية، فذهب فيما بعد الى ان المدرسة يجب ان تشارك في الحياة وان تمهد لها، دون أن تقتصر كما كانت الحال في القديم على موضوعات جافة نظرية بعيدة عن واقع الحياة.

ولما بلغ جون الخامس عشر تخرج من مدرسة الثانوية 1875 [1] ودخل جامعة فرمونت القريبة من منزل الاسرة في المنطقة وكانت رغبة والده بأن يبقى أبنه جون في مدينته برلنجتون ويعمل كميكانيكي لكن جون أصر على تكملة الدراسة ليتخرج عام 1879، وقد درس أثناء وجوده في الجامعة مختلف المواد الدراسية التي كانت معتمدة في المناهج الدراسية آنذاك فدرس خلال عامين اللغتين اليونانية واللاتينية والتاريخ القديم والهندسة التحليلية، وحساب التفاضل والتكامل.

ثم درس بعد ذلك العلوم الطبيعية ونظرية التطور، والتي قرأ عنها في المجلات العلمية حول هذه النظرية والتي اهتم بها اهتماماً متميزاً وخلبت ألباب الطلاب[2]، وفي السنة الرابعة من الدراسة الجامعية تلقى محاضرات في علم النفس وتاريخ الحضارة، ودرس جمهورية افلاطون التي اثرت في نفسه فكتب في سيرته الفلسفية وهي المقالة بعنوان "من المذهب المطلق الى المذهب التجريبي" ودرس الى جانب ذلك الفلسفة الإنجليزية وخاصة مذهب باركلي، واطلع في ذلك الحين على مجلات الفلسفية على فلسفة اوغست كومت، فلم يتأثر بنتائجها بمقدار ما تأثر بروحها في فلسفة الوضعية وفي ضرورة تطبيق العلم على المجتمع وأنظمته، وفي صلة بين الظروف الاجتماعية وبين العلم والفلسفة[3].

[1]، د. احمد فؤاد الأهواني، نوابغ الفكر الغربي جون ديوي، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1968 ص116
[2]، د. كفاء يحي صالد العسكري، الغزالي وجون ديوي نظرتهم الطبيعية والإنسانية، منشورات شبكة العلوم النفسية والعربية، العدد 2، سنة 2013، ص37
[3]، د. احمد فؤاد الأهواني، نوابغ الفكر الغربي جون ديوي، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1968 ص21

ومما يجدر بالذكر أن ديوي تأثر في تلك الفترة بالأستاذ "تورى" الذي كان يدرس الفلسفة بالجمعة، كان معلما بارعا، واليه يدين جون ديوي بأمرين:

الأول استقرار أفكاره نهائيا نحو دراسة الفلسفة واتخاذها غاية له في الحياة، والثاني قراءته نصوص قدماء الفلاسفة والفلسفة الألمانية وتأثر بكتابه أيضا في تكوينه الفلسفي بعنوان "علم فيسيولوجيا" تأليف الفيلسوف توماس هنري هكسلى (1825-1895) والشارح لمذهب دارون في النشوء والارتقاء فستمد من دراسته صورة قوية عن وحدة الكائن الحي، خلقت في نفسه نموذجا لنظرة اشمل وأوسع للأشياء، تلك النظرة الشاملة التي تتميز بها الدراسة الفلسفية[1] .

من هذا نجد ان جون ديوي قد نال اعلى الدرجات التي سجلت في تلك الجامعة في موضوع الفلسفة ونشر اول بحث فلسفي له بعنوان "الافتراض الغيبي للمادية" وقوبل هذا البحث بالثناء بعد تخرجه في عام 1879 مما شجعه على احتراف الفلسفة فعزم عندئذ على ان يكون فيلسوفا ممتهنا، ونال درجة الدكتوراه في الفلسفة عام 1884 من جامعة "جون هوبكنز" مع الكثير من درجات الشرف[2].

ج) مسار حياته:

وبعد أن تخرج جون ديوي من الجامعة عام 1879 م أصبح يدرس في المدرسة اللغة اللاتينية والجبر والعلوم ومنه أصبح ديوي مدرسا فأستاذا للفلسفة في جامعة مشيجان في عام1884 وفي عام 1894 م ترك ديوي جامعة ليقبل منصب رئيس قسم الفلسفة وعلم النفس والتربية في جامعة شيكاغو ومن جملة الاسباب التي جعلت ديوي يقبل منصب التدريس انضمامه إلى قسم التربية، قسم الفلسفة وعلم النفس.

[1]، د. احمد فؤاد الأهواني، نوابغ الفكر الغربي جون ديوي، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1968، ص22
[2]، جون ديوي، المدرسة والمجتمع، ت: احمد حسن الرحيم، ط2، مكتبة الحياة، بيروت _لبنان_،1978، ص6

وبذلك أتاح له اهتماماته بالتربية والفلسفة وعلم النفس ويبرز العلاقة بينهما وفي قوله:" أول الامور في تطور تفكيري أهمية التربية نظريا وعمليا في نفسي، وبخاصة تربية الصغار لأنني لم أشعر أبدآ بتفاؤل كثير فيما يختص بإمكانات التعليم العالي اذ بني هذا التعليم على أسس ضعيفة، وقد اندمج هذا الاهتمام، بالاهتمام بعلم النفس ام في المؤسسات الاجتماعية ام في الحياة الاجتماعية "[1].

بعد هذا منصب رئيس قسم الفلسفة وعلم النفس والتربية قام بثورته التربوية المسمات "التربية التقدمية "وقد انشا مدرسة تجريبية لتطبيق نظرياته الجديدة، واثبت انها عملية. غير ان القائمين

على شؤون الجامعة لم يقروا هذه التجارب، فاضطر الى الاستقالة في سنة 1904 منتقلا الى كلية المعلمين بجامعة كولومبيا حيث ضل بها الى سن التقاعد في سنة 1930.

وقد ظل ديوي يبدى نشاط في اتحاد المعلمين بنيويورك الى أن استطاع اليساريون التغلب على السلطة فيه، وعلى إثر ذلك انتقل ديوي الى الاتحاد الذي أنشأه المعلمين غير اليساريين وأسهم في تنظيمه. وكان أيضا من مؤسسي اتحاد الحريات المدنية للأمريكيين وجمعية أساتذة الجامعات الأمريكيين.[2]

لفت ديوي انظار العالم لأول مرة اثناء تدريسه في جامعة شيكاجو، حيث كشف عن أفكاره في السنوات التي قضاها هناك. ولعل أعظم كتاب له هو " الديمقراطية والتعليم" حيث جمع فيه خطوط فلسفته وركزها حول مهمة النهوض بجيل أفضل. لقد اعترف بزعامته جميع الأساتذة والمعلمين، وتأثرت بنفوذها معظم المدارس والجامعات الامريكية. كما ابدى نشاطا فائقا وجهودا كبيرة في تجديد المدارس في أنحاء مختلفة في العالم.

[1]، د. كفاء يحي صالد العسكري، الغزالي وجون ديوي نظرتهم الطبيعية والإنسانية، منشورات شبكة العلوم النفسية والعربية، العدد 2، سنة 2013، ص42

[2]، جون ديوي، الفن خبرة، ت: زكريا إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2011، (من المقدمة).

وأمضى سنتتين في الصين حاضر فيها امام المعلمين حول اصلاح التعليم. وقدم تقريرا الى الحكومة التركية حول تجديد تنظيم المدارس الوطنية في تركيا.[1] من خلال هذه الاعمال ونشاطات التي قام بها الفيلسوف ومربي جون ديوي انه بذل جهود كبيرة لتطوير المجتمعات من ناحية التعليم في المدارس وتكوينها تكوين صحيح ليس في أمريكا فقط بل في مختلف انحاء العالم.

كما أضاف على ذلك وجوب تدريس العلوم بطريقة علمية تأتي عن طريق الممارسة الحقيقية النافعة للحرف والمهن، لا طريق تعليم الكتب. اذ ينبغي ان تكون المدارس في مجتمع صناعي اشبه شيء بالمصنع الصغير، وتقوم بتعليم طلابها بطريقة عملية، يتدرب فيها التلاميذ بإقامة التجارب العملية والاستفادة من أخطاء هذه التجارب. أو بعبارة أوضح تطبيق نظرية التجربة والخطأ، وتدريس الفنون والنظم اللازمة بالنسبة الى النظام الاقتصادي والاجتماعي وان ينظر الى التعليم كونه مجرد اعداد للنضوج مستمر للعقل، اذ المدارس لا تقدم لنا سوى وسائل النمو العقلي، والبقية تعتمد على مدى استيعابنا وتفسيرنا لتجاربنا، والتعليم الحقيقي يأتي بعد تخرجنا من المدارس ويجب ان يستمر معنا طيلة حياتنا.[2]

كان جون ديوي وديع الخلق، مرهف الحس ذا تواضع وإدراك، وقد برز في ثلاثة من الحقول المختلفة في الفلسفة والتربية ومعركة الحرية الفكرية المدنية وقد توفي عام 1952[3].

[1]، ول ديورانت، قصة الفلسفة من افلاطون الى جون ديوي، ت: د. فتح الله محمد لمشعشع، ط6، مكتبة المعارف، بيروت، 1861، ص625

[2]، المرجع نفسه، ص 626

[3]، جون ديوي، المدرسة والمجتمع، ت: احمد حسن الرحيم، ط2، مكتبة الحياة، بيروت _لبنان_، 1978، ص 7

2. مصنفاته:

ليس جون ديوي مربيا وأستاذا في التربية فحسب بل هو فيلسوف المربيين وشيخ فلاسفة التربية فقد كتب العديد من المؤلفات يعالج فيها شؤون التربية والتعليم ومن أشهر كتاب له في هذا الحقل هو كتاب " الديمقراطية والتربية" الذي صدر في 1916 تكلم في محتواه على أفكار التي ينطوي عليها المجتمع الديمقراطي وشرحها وتطبيقها على مشاكل التربية باعتبارها من ضروريات الحياة [1].

كذلك كتاب "الفن خبرة " 1934 حيث ركز في محتواه على النظريات الكبرى في ميدان البحث الجمالي وبالخصوص نظرية جون ديوي الجمالية الذي تكلم عنها في فلسفته والتي تنتمي الى التيار البراغماتي والذي يعني الفلسفة العملية [2] هذه الأخيرة التي تمثل وبضرورة أهمية في الفن الجميل عند ديوي حيث لا يمكن رؤية الفن بمعزل عن مجال الحياة العملية.

ومن بين مؤلفاته اخرى كتاب "الحرية والثقافة" 1939 وتكلم فيه على ضرورة الاستمرار في العمل من اجل النهوض بالحياة الاجتماعية السليمة ونواحي الثقافية الحقة والديمقراطية الصحيحة مع العناية بتمكين الفرد من ان ينمو نموا متكاملا مستمتعا بالحرية الصحيحة التي تتيح الفرص لإيجاد الوسائل والنظم التي ترقى بها المجتمعات[3].

نجد لدى ديوي الكثير من الاعمال التي تكلم فيها على العديد من مواضيع الحياة والمجتمعات في مختلف انحاء العالم منها اليابان الصين كولومبيا وغيرها من الدول فكتب في الميتافيزيقيا وفلسفة العلوم وعلم النفس وعلم الجمال والأخلاق وغيرها ومن مؤلفاته:

[1]، جون ديوي، المدرسة والمجتمع، ت: احمد حسن الرحيم، ط2، مكتبة الحياة، بيروت _لبنان_، 1978، ص9
[2]، جون ديوي، الفن خبرة، ت: زكريا إبراهيم، مراجعة وتقديم: زكي نجيب محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2011، (من المقدمة)
[3]، جون ديوي، الحرية والثقافة، تر: امين مرسي قنديل، مطبعة التحرير، القاهرة _مصر_، 1954، (من المقدمة).

أول مقالة له نشرها "الدعاوى الميتافيزيقية للمذهب المادي"، مجلة الفلسفة النظرية 1882، كتاب موضوعه علم النفس 1887، كتاب موضوعه عقيدتي التربوية 1897، كتاب موضوعه علم النفس والمنهج الفلسفي1900، كتاب موضوعه المدرسة والمجتمع سنة 1900، كتاب موضوعه الطفل والمنهج الدراسي 1902، كتاب بعنوان كيف نفكر (أثر داروين في الفلسفة) 1910، كتاب موضعه تجديد في الفلسفة 1920، كتاب بعنوان الطبيعة البشرية والسلوك 1922، كتاب بعنوان البحث عن اليقين 1930، كتاب موضوعه التربية في العصر الحاضر 1940.[1]

[1]، د. احمد فؤاد الأهواني، نوابغ الفكر الغربي جون ديوي، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1968 ص16

ثانيا: المرجعية الفكرية لجون ديوي:

تأثر جون ديوي بأفكار الفلاسفة والعلماء والمربيين السابقين والمعاصرين له فقد تأثر بعوامل مختلفة اثرت على فلسفته وجعلته الممثل المتميز للفلسفة البراغماتية من هذه العوامل دراسته للمجتمع العصري ولخصائصه العلمية والتكنولوجية، المبادئ التي كانت تقوم عليها الحياة الديمقراطية في أمريكا والقيم السائدة فيها والاتجاهات الاجتماعية التي كانت نتيجة طبيعية للحرية وابعدها السياسية، الاجتماعية والاقتصادية[1] كما تأثر جون ديوي بأهم النظريات ومتمثلة في نظرية تطور.

أ) نظرية التطور (داروين):

جاءت نظرية التطور على يد العالم شارلز روبرت داروين* في كتابه " أصل الأنواع " الذي صدر مع مولد جون ديوي في عام 1859 ذلك الكتاب الذي لعب في فلسفة ديوي دورا كبيرا فيما بعد[2] باعتباره من اهم الكتب التي كتبها داروين على الكائنات الحية وكيفية تطورها وتعايشها وتكاثرها في البيئة المحيطة بها.

تعتبر هذه النظرية من أخطر النظريات العلمية، والتي تعد معلما من معالم حركة الأفكار والمجتمعات، بدأت نظرية التطور مع الأبحاث والنظريات حول التطور الجيولوجي أولا ثم التطور البيولوجي على يد هيكل وجان باتيستا لا مارك، ثم بلغت ذروتها على يد تشارلز داروين وتطبيقاتها الاجتماعية على يد هربرت سبنسر وغيره.

---

[1]، د. زكريا اسماعيل أبو الضبعات، الديمقراطية وفلسفة التربية، ط1، دار الفكر ناشرون وموزعون، عمان، 2009، ص92

(*) - هو تشارلز روبرت داروين (Charles Robert Darwin) (1809- 1882 م) عالم أحياء انجليزي صاحب أكثر النظريات تأثيرا في القرن التاسع عشر، تعّلم الطب، واللاهوت إلا أنه اتجه إلى دراسة الأحياء بتأثير صداقته بعالم النبات "هنسلو" وقراءاته "همبولت" و"هرشل" ومن أهم كتبه "أصل الأنواع و"تسلسل الإنسان "

[2]، د. احمد فؤاد الأهواني، نوابغ الفكر الغربي جون ديوي، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1968 ص 19

إن أول من تطرق لفكرة التطور البيولوجي هو جان باتيستا لا مارك الذي عد ان الأنواع ومنها الانسان ناشئة من نوع اخر تطورت عبر ملايين السنين وقد طور داروين هه الأفكار، بل أعاد صياغتها من جديد من خلال اضافاته الكثيرة[1].

حيث كانت هذه النظرية مبنية على حقائق واضحة وهي ان كل افراد الكائنات الحية تختلف عن بعضها البعض فلا يوجد انسان مشابه للأخر تماما ولا توجد ضفدعة او بقرة مطابقة لأخرى تماما بمعنى لا يوجد في هذا الكون كائنات حية تتشابه بعضها البعض أي بضرورة ان يكون اختلاف بينهم مثلا في الشكل وطريقة التعايش في البيئة فجمل يعيش في صحراء والخروف يعيش في مزرعة والزرافة يختلف شكلها على باقي الحيوانات أخرى.

كذلك نجد ان الكائنات الحية تتصارع على المكان والغذاء والبقاء فهم اهم الأشياء التي يحتاجها الكائن لتعايش في هذا الكون، وقد أطلق داروين على هذا الصراع اسم الانتخاب الطبيعي وان هذا الاخير يؤدي الى تراكم الخواص التي تلائم البيئة فاذا استمر فان ذلك كفيل بإحداث تطور[2].

بمعنى ان هذه الخواص الأساسية هي التي تجعل الكائن يتطور ويتغير عبر العصور، هذه الآراء والحقائق التي نشرها داروين في كتابه "أصل الأنواع " قد تأثر بها فيلسوف والمربي جون ديوي فقد لعب مذهب داروين أهمية مميزة في ممارسة مذهب الطبيعة الذي انتهجه ديوي وكان من رأيه ان داروين قدم صورة للتفكير عملت في اخر الامر على تغيير كل مجال من مجالات المعرفة بعد ان وضع يده على الفلك المقدس للخلود المطلق وغزى مظاهر الحياة من اجل الانتقال والعبور[3].

---

[1]، د. منتهى عبد الجاسم، معيار العلم والأخلاق في الفلسفة البراغماتية، ط1، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان، سنة 2013، ص 62

[2]، تشارلز داروين، كتاب أصل الأنواع، ت: مجدى محمود المليجي، ط1، حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، سنة 2004، ص 22

[3]، يول.ف.بولر ، الحرية والقدر في الفكر الأمريكي من ادواردز الى ديوي ، ت: إسماعيل كشمير، مكتبة الانجلو المصرية، سنة 1987، ص 279

مما نجد ديوي قد اخذ مذهب التطور العلمي وامن به كما ينبغي ان يؤمن به كل من يأخذ نفسه في المناهج العلمية [1] ويرى في هذا المذهب ان الانسان يتطور وينمو ويتغير في الحياة الاجتماعية التي يعيشها حيث نجد ديوي قد تأثر تأثيرا قويا بفكرة تطور واتخذ مفهوم النمو محور فكره الفلسفي ورأى أن الذهن والجسد كليهما عضو متطور ينفع معترك الحياة وان حياة الانسان ليست في جوهرها الا محاولة متصلة من جانبه لتحقيق التوافق مع البيئة المحيطة واذ لم يستطع تحقيق التوافق فان مصيره حتما الموت[2].

وهذا يعني ان انسان يمتلك صفات ملائمة بالاحتكاك بالطبيعة والبيئة التي يعيش فيها وهذه الصفات التي تجعله يصارع من اجل البقاء على قيد الحياة والتكاثر والالية التي يحدث بها التطور أي هي السبب الأساسي لجعله يتطور.

بالإضافة كان من رأي ديوي الذي يعتبر من أنصار داروين ان التغيير والنماء والتاريخ أصبحت المدخل لتفهم الكون، وبناء على فلسفة ديوي فان الطبيعة نظام من المتغيرات المتداخلة بعضها في بعض، وأنها تتشكل من الحوادث لا من الجوهر او المضمون.

وهذا يعني ان التفاعل عملية شاملة وان ما يسمى "بالأشياء" هو في حقيقته احداثا طبيعية تقوم على الحركة والتغيير وهي الأشياء التي تخدم بنو البشر في أهدافهم الخاصة، والانسان بالنسبة لديوي نوع من أنواع الطاقة يعمل في نطاق الطبيعة ومتصل لا ينفصل بأنواع الأخرى من الطاقة والنشاط وهو جزء عضوي من التفاعلات المتبادلة للأشياء المتغيرة التي خلقت الكون[3].

[1]، د. احمد فؤاد الأهواني، نوابغ الفكر الغربي جون ديوي، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1968 ص 19.
[2]، د. عادل العوا، العمدة في فلسفة القيم، ط 1، دار طلاس للدراسات والترجمة، دمشق، 1986، ص 172.
[3]، يول.ف.بولر ، الحرية والقدر في الفكر الأمريكي من إدواردز الى ديوي ، تر : إسماعيل كشمير ، مكتبة الانجلو المصرية ، 1987 ،ص 281.280

كذلك يرى ديوي من خلال كتاب "أصل الأنواع" لداروين بانه يمهد الطريق لإعادة بناء الفلسفة حيث يدفعنا الى ان ننظر الى أنفسنا بوصفنا مخلوقات ينبغي ان يتكيف بعضها مع بعض الآخر ومع ظروف البيئة من أجل البقاء وهذا التركيز على التكيف يتطلب في مجال الفلسفة انصراف عن " المذهب " الى "المنهج " وعزوفا عن النتائج المحددة الى عملية " البحث" نفسها وتبدأ هذه العملية حين يصادف الانسان مواقف غامضة ومشوشة لا تحديد فيها، مواقف متشبعة، معتمة، حافلة بالصراع، حينئذ يجد الانسان نفسه مرغم على البحث لتحويل موقف غير محدد الى موقف محدد [1].

أن النمو او التطور في نظر ديوي أعظم الأشياء وأفضلها واجدرها بالاحترام والتبجيل وقد جعل من النمو والتطور مقياسه الأخلاقي. فالنمو في نظره هو المقياس الأخلاقي وليس الخير المطلق.

والكمال ليس هدفا نهائيا، والهدف في الحياة هو عملية مستمرة نحو الكمال والنضوح والتصفية والتنقية ...والانسان السيء مهما كان طيبا وخيرا في الماضي هو الانسان الذي بدا في الانحطاط والفساد وقل نمو فضله، والانسان الفاضل او الطيف مهما كانت اخلاقه ضعيفة من قبل يتجه في طريقه لتحسين نفسه[2].

كما دعا إلى تطبيع العقل أي جعله جزءا من الطبيعة، فالّذكاء يعبر عن العقل لا من حيث هو حقائق ومعارف موروثة تنتشر بالتلقين والتحفيز وإنما يعبر عن تنظيم التجاوب العضوي مع المحيط، ذلك أن كل عضو هو قطعة في مجرى الأحداث.

[1]، فؤاد كامل، اعلام الفكر الفلسفي المعاصر، ط1، دار الجيل، بيروت، سنة 1993، ص 119
[2]، ول ديورانت، قصة الفلسفة من افلاطون الى جون ديوي، ت: د. فتح الله محمد لمشعشع، ط6، مكتبة المعارف، بيروت، سنة 1861، ص 629

فمثلا الطفل لا يوهب الذكاء منذ الولادة ولكّنه يكتسب الطبيعة العقلانية عندما يحدث التفاعل بين عقله باعتباره عنصرا طبيعيا مع ظروف البيئة وقضاياه، فيكتسب المعارف والتي هي ليست فطرية بل تطورت بواسطة تجربة سلالة الجنس البشري، ولا يتم ذلك إلا بالتربية، وفيها يكتسب الفرد العادات والتقاليد والمعارف.

فحتى عمليات التفكير المنطقي مرتبطة في تطورها المستمر بما هو بيولوجي ولقد أشار "ديوي" إلى ذلك في كتابه "المنطق نظرية البحث" [1].

ومن هنا يتضح لنا ان من الممكن ان تتجسد نظرية التطور في أنفسنا وفي ثبات طبيعة البشرية حيث ان الانسان يستطيع ان يطور في نفسه وافكاره وفي غرائزه أيضا كغريزة حب الامتلاك والسيادة.

كذلك يظهر بوضوح تأثير "داروين" في ان نظرية الّتطور والارتقاء تقوم على أن نمو الأعضاء كان نتيجة محاولة تكيف الكائن من ظروفه المحيطة به، وقد استخدم "ديوي" تفسيرا من التفاسير للأثر الذي أحدثته تلك النظرية على الفكر عموما والتي تتمثل في مبدأ الّتنازع على البقاء، ومبدأ بقاء الأصلح اللذان قال بهما داروين لتأييد سياسة القوة من الوجهة الّنظرية.

واقترحت فئة من الكُّتاب، وبخاصة الفيلسوف الألماني "نيتشه" أخلاقيات للقوة يعارضون بها الأخلاقيات المسيحية التي تدعو إلى الّتضحية، ولما كانت الطبيعة البشرية هي العامل الذي يتفاعل دائما بشكل ما مع الأحوال البيئية في إنتاج الثقافة فقد عني الناس بالموضوع وأولوه اهتماما خاصا فيما بعد[2].

[1]، البار عبد الحفيظ، فلسفة التربية عند جون ديوي، مذكرة لنيل الماجستير في الفلسفة، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، 59 قسنطينة، 2009، ص 58

[2]، جون ديوي، الحرية والثقافة، ت: امين مرسي قنديل، مطبعة التحرير، القاهرة _مصر_، 1954، ص 24

ومن هذا نجد انا هدف النظام السياسي ان يساعد الفرد على التطور والنهوض بنفسه تطورا تاما. ولن نصل الى هذا الا إذا اشترك كل فرد على قدر وسعه في تقرير سياسة جماعته ومصيرها والارستقراطية والملكية أكثر مقدرة وكفاءة من الديمقراطية[1].

يتضح ان التغير والصيرورة أساس نظرية التطور، وهذا الأساس نجده بشكل واضح لدى الفلاسفة البراغماتيين، وان كان لكل منهم مصدر مختلف أثر فيه. فبيرس تأثر من خلال لا مارك وجيمس بداروين، اما ديوي فتأثر بسبنسر وتوماس هكسلي. الى جانب ذلك نجد ان فكرة (انحراف الصفات) او المصادفة او الانحراف عن القانون، كانت عند بيرس عنصرا فاعلا واساسا في الكون. وقد حاول البراغماتيون تطبيق فكار التطور حتى على الواقع[2].

ونخلص مما سبق، أن نظرية التطور الداروينية كانت بحق نقطة تحول في الفكر العلمي والفلسفي، ورغم الكثير من الاعتراضات التي لحقتها إلا أنها ساهمت في بروز العديد من النظريات في مختلف العلوم ساهمت بشكل واضح في بناء نظرة ديوي للطبيعة البشرية وبالتالي دورها في بروز فلسفة التربوية.

[1]، ول ديورانت، قصة الفلسفة من افلاطون الى جون ديوي، ت: د. فتح الله محمد لمشعشع، ط6، مكتبة المعارف، بيروت، 1861، ص630

[2]، د. منتهى عبد الجاسم، معيار العلم والأخلاق في الفلسفة البراغماتية، ط1، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان، سنة 2013، ص 64

ب) أثر النظرية السلوكية "جون واطسن":

تأثرت فلسفة ديوي التربوية بعدة نظريات نفسية التي عرفها علم النفس خاصة من بينها النظرية السلوكية التي تزعمها جون واطسون* والتي لها أثر علميا في فلسفة الأداتية لجون ديوي فهي النظرية التي تدرس سلوك الانسان التي يستخدمها في ميادين العلمية الطبيعية باعتبارها البيئة التي يتكيف فيها المجتمع البشري.

وبمعنى أوضح ان هذه النظرية ترى ان السلوك الانساني عبارة عن مجموعة من العادات التي يتعلمها الفرد ويكتسبها اثناء مراحل نموه سواء كانت هذه التصرفات سيئة او العكس فإنها ترجع الى الظروف البيئية التي يخضع لها، اذن نجد الأثر السيكولوجي على الاداتية فهو طبيعة بيولوجية ويتصل بمذهب واطسون في السلوكية، فلمخ ينسق المؤثرات الحسية في سبيل احداث استجابات ملائمة، فالجهاز العصبي المركزي يشغل مكانا متوسطا يلائم بين حاجات الكائن الحي والبيئة الذي يعيش فيها، وقد اثبتوا الاداتيون وجود العقل بشتى افعاله من انتباه وتمييز وموازنة وتصور وتصنيف وغير ذلك.

ومن هنا يتضح ان وظيفة العقل ليست مجرد نسخ الأشياء الموجودة في البيئة، بل ان تأخذ في الاعتبار من العلاقات ما هو أفعل في هذه الأشياء والاصلح لها في المستقبل [1]، بحيث يشعر الانسان بانه يفعل شيء وذلك عن طريق ذكاءه وهو الشرط الأساسي لتحقيق الأهداف باعتباره يعبر عن التجاوب العضوي مع المحيط وليس نسخ لأفعال او للأشياء التي اكتسبها من الطبيعة.

وحيث نجد ديوي يحرص على الصفات التي تنمي مقدرة الفرد على التفكير الحر والعمل بذكاء في حل المشكلات التي تواجهه على وفق النموذج الذي تقدمه الطريقة التجريبية ولهذا نجد

[1]، د. احمد فؤاد الأهواني، نوابغ الفكر الغربي جون ديوي، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1968، ص92

(*) جون واطسون (1878-1958) (jon.B.watson) فيلسوف امريكي ومؤسس المدرسة النفسية والجدير بالذكر ان جون واطسون تمكن من احداث تغير جذري في علم النفس وهذا بموجب وجهة نظر السلوكيون في عام 1913.

اهتماما خاصا لدى ديوي بمسألة الذكاء، ونجد إشارات بهذا الخصوص الى ضرورة استبدال العقل كمفهوم مجرد بالذكاء وان الفهم العملي للذكاء او العقل البصير كواضع للخطط ومنفذ لها كما اقره ديوي جداء نتيجة الأثر الذي تركه عليه جيمس من خلال كتابه "مبادئ علم النفس" اذ اعتبر ان العقل ليس كائنا روحانيا غيبيا يختلف عن الجسم الحي الفعال وانما هو نمط معين من السلوك، لذلك يرى ديوي ان الذكاء رمز دال على مجموعة الطرائق التي اتبعتها العلوم الحديثة فمكنتها من الازدهار والتقدم[1].

فإذا كانت السلوكية مع واطسون دعت إلى دراسة السلوك الإنساني دراسة موضوعية تبعا لمكونات الإنسان الفيزيولوجية ورأت أن السلوك يظهر في شكل مثير واستجابة وترتد هذه النظرية إلى العالم الروسي "بافلوف" الذي توصل بتجربته لقياس كمية اللّعاب التي يفرزها الكلب أثناء الطعام إلى تمييزه بين المنعكس الطبيعي والمنعكس الشرطي، فأعجب "واطسون" بهذه التجربة وأخذ يفسر على غرارها سلوك الإنسان، حيث جعل تنوع السلوك يتوّقف على ما يجابهه من مؤثّرات في البيئة.

ومن ذلك انطلق "ديوي" في تفسير الكثير من أفعال الإنسان التي تتعدل تبعا للمؤثرات الموجودة في البيئة[2]، فمثلا نجد الكلاب والخيل حيث تتبدل اعمالها بملازمتها للإنسان وتعتاد شتى العادات لاهتمامه بأعمالها، فهو يتحكم في الحيوانات بطبعه للدوافع الطبيعية التي تؤثر فيها، أي بإحاطتها بيئة معينة، فنراه يستخدم الأصوات والعجلات للسيطرة على الطرق التي تحدث فيها الغرائز، فلو وضعنا جرذا في متاهة وصار سبيله الوحيد الى الطعام لا يتحقق الا

[1]، د. منتهى عبد الجاسم، معيار العلم والأخلاق في الفلسفة البراغماتية، ط1، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان، سنة 2013، ص 151

[2]، البار عبد الحفيظ، فلسفة التربية عند جون ديوي، مذكرة لنيل الماجستير في الفلسفة، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، 59 قسنطينة، 2009، ص61

بدورانه عددا معين من الدورات في ترتيب معين، لعدل اعماله بالتدريج حتى يعتاد ذلك المسلك كلما ألح عليه الجوع[1].

ومن هذا فنجد الاداتية تجعل للتفكير وظيفة وضعية، وهي إعادة تكوين الحالة الراهنة للأشياء لا مجرد معرفتها او اتخاذ نسخة منها، فالتفكير واسطة للاستجابات معقدة مع مؤثرات البيئة، وإذ طبقنا هذه النظرية البيولوجية على احكام منطقية، كان الموضوع هو جزء البيئة الذي يتطلب الاستجابة، والمحمول هو الاستجابة او العادة او الهيئة المحتملة التي لابد للمرء ان يسلكها بإزاء البيئة، فالأداتية تذهب الى ان السلوك يجب ان يكون بصير وصادر عن تدبر، وان الفكر يجب ان يشغل منزلة رئيسية في الحياة[2].

ومما سبق نجد ان هذه النظريات في علم النفس الحديث كان سببا في وصول "ديوي" لفلسفته التي ميزت جميع ميادين دراسته وبخاصة الميدان التربوي، مما ساعده على صياغة نظريته في التربية مكنته من تجاوز التصورات المجردة الخاصة بها، وجعلها وثيقة الصلة بالوقائع وقابلة للّتطبيق في الكثير من المواقف وأصبحت بذلك أداة تحسن الحياة وتطورها.

وعلى هذا الأساس رفض "ديوي" الكثير من الفلسفات التربوية الّتقليدية رغم اعترافه بإسهاماتها في الميدان التربوي، فهذا الرفض وهذا الثّناء كان لهما أيضا الدور الكبير في بناء الّتربية الّتقدمية[3]، لهذا يذكر ديوي ان هناك خبرات ضارة في التربية ناتجة عن التربية التقليدية، وهذه الخبرات تعيق النمو، ومن هنا فهي تؤدي الى التبلد وتشتت الفكر وعدم التركيز، ويرى بانه يجب ان يكون غرض التربية هو تحقيق النمو وزيادته وإيجاد السبل الكفيلة للوصول الى هذا الهدف، الذي أشار إليه بقوله" ان عملية التربية عملية نمو متواصل وغايتها زيادة القدرة على

[1]، جون ديوي، الديمقراطية والتربية، ت: منى العفراوي وزكريا ميخائيل، ط2، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة مصر_، 1954، ص 13

[2]، د. احمد فؤاد الأهواني، نوابغ الفكر الغربي جون ديوي، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1968، ص93

[3]، البار عبد الحفيظ، فلسفة التربية عند جون ديوي، مذكرة لنيل الماجستير في الفلسفة، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية قسنطينة، 2009، ص62

النمو في كل دور من أدوار الحياة فهو يدعو الى الخبرة التي تؤدي الى النمو وزيادته في جميع نواحيه الفكرية والجسمية والخلقية[1].

مما يتضح لنا ان مهمة التربية بحسب ديوي هي اعداد الفرد للحياة، فالتربية ليست مجرد وسيلة نحصل بها على المعارف، بل هي عملية تربوية تهتم بالجانب النفسي والاجتماعي، ووضع الأهداف التربوية على وفق المجتمع، والتربية التي يطالب بها ديوي تتميز بانها تركز على الاهتمام بالتعبير عن الذات، وتأكيدها النشاط الحر، والتخلص من الأهداف والمواد الجامدة وذلك بالاطلاع على عالم متطور ومتغير[2].

[1]، د. منتهى عبد الجاسم، معيار العلم والأخلاق في الفلسفة البراغماتية، ط1، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان، سنة 2013، ص 149

[2]، المرجع نفسه، ص148

الفصل الثاني

الفصل الثاني

أسس فلسفة القيم عند جون ديوي

أولا: المدلول اللغوي والاصطلاحي للقيم

1. **المدلول اللغوي**
2. **المدلول الاصطلاحي عند جون ديوي**

ثانيا: الخلفية الفلسفية والتاريخية لمفهوم القيمة عند جون ديوي

1. **في فلسفة اليونانية**
2. **في فلسفة القرن الوسيط**
3. **في فلسفة الحديثة**

أولا: المدلول اللغوي والاصطلاحي للقيم:

تعتبر فلسفة القيم من أهم الفلسفات التي عرفتها الفلسفة في العصر الحديث فهي تحتل مكانة بارزة عند الفلاسفة خاصة الفيلسوف الأمريكي جون ديوي حيث أعطي لها مفهوم ووجهة نظر خاصة في فلسفته التربوية.

1. المدلول اللغوي:

يعد مصطلح القيم الذي انتشر استعماله في عصرنا بمعنى الكلمة الفرنسية valeur وتدل أصلا اسم النوع من الفعل "قام" بمعنى وقف، واعتدل، انتصب، وبلغ، واستوى...، ويمكننا ان نجد لها معاني أخرى اذ تتبعنا استعمالها واستعمال الالفاظ المشتقة من نفس مصدرها.

فمن العبارات الشائعة قولهم:" ماله قيمة" إذا كان لا يدوم ولا يثبت على شيء، زمنها أيضا وصف الانسان او الشيء او العمل او الدين بكونه قيما، يعني مستقيما، فالإنسان القيم هو المستقيم، وكذلك الديانة القيمة [1]هذا نجده في القرآن الكريم قوله تعالى: "فيها كتب قيمة"[2]، "وذلك دين القيمة"[3].

إن كلمة valeur لاتينية الأصل. فهي مأخوذة من فعل المصرف valeo الذي معناه:" انا قوي" je suis fort" وهو معنى يتضمن الفعالية والتأثير والملاءمة ومعني تشير اليه الى الكلمة الفرنسية في استعمالها اللغوي حيث تدل على القوة والشجاعة يقول الشاعر الروائي " قرناي":

[1]، د. الربيع ميمون، نظرية القيم في الفكر المعاصر بين النسبية والمطلقة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص27

[2]، القرآن الكريم، سورة البينة، آية 3

[3]، القرآن الكريم، سورة البينة آية 5

"إن القيمة لا تنتظر عدد المسنين" ويعني ان الشجاعة لا تتطلب عمرا متقدما، وسنين طويلة لتظهر، فهي من الاخلاق التي يمكن أن تبدو آثارها لدى الشجعان ولو كانوا أطفال[1].

وعليه فكلمة القيمة بهذا المعنى تدل على صفة شخصية تعبر صاحبها مقاما مرموقا في مجتمعه مادامت زينة له يتحلى بها في معارك الحياة.

ولقد صارت تدل على معاني أخرى مع مر الأيام، وانتشر استعمالها في ميادين الفكر المختلفة، فهي كلمة يستعملها أصحاب الاختصاصات المختلفة من لغويين وموسيقيين، ورياضيين واقتصاديين والفلاسفة وغيرهم[2].

ومن بعض المصطلحات القيمية الحديثة، ولاسيما في دلالة القيمة والتقويم وما يوكبهما من معاني والاستحسان والكمال والغاية او الهدف والغرض.

ففي اللغة العربية تشتق كلمة القيمة من القيام، وهو نقيض الجلوس، والقيام بمعنى أخر هو العزم، وقد يجيء القيام بمعني المحافظة والإصلاح، ويجيء بمعنى اخر الوقوف والثبات[3].

فإذا نظرنا الى معنى القيمة وجدناها انها العزم، والمحافظة، والإصلاح والثبات ورواج السوق، والاعتدال والاستقامة والعدل وحسن الطول وحسن القامة.

والقيمة يراد تسميتها في التفكير الفلسفي خاصة عند الفلاسفة المعاصرين بصيغة علم مستحدث تدل عليه كلمة "إكسيولوجيا" axiologie، ويصح الإعراب عن هذه الكلمة بعبارة علم القيم أو فلسفة القيم أو نظرية القيمة، وهذا الجو من لا دقة التعبير ينم عما يشبه حاليا متاهة من مناقشات مبدؤها ما يجري في الذهن حين يصنع صاحب الفكر فكره[4].

---

[1]، د، الربيع ميمون، نظرية القيم في الفكر المعاصر بين النسبية والمطلقة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص28

[2]، المرجع نفسه، ص29

[3]، د. عادل العوا، العمدة في فلسفة القيم، ط 1، دار طلاس للدراسات والترجمة، دمشق، 1986، ص35

[4]، المرجع نفسه، ص 43

ومنه نجد أن القيمة هي كلمة من الصعب تحديد معنى الحقيقي لها، لأنها كما يقول "لالند" تدل غالبا على "تصور متحرك، على مرور من الواقع الى الحق، ومن المرغوب فيه الى القابل للرغبة فيه"[1] حيث يقول عادل العوا: "... وانما ينشأ غموض معنى القيمة عن لا ماديتها. فالقيمة شرط كل وجود، ولكنها ليست بذاتها وجودا. أنها تبدو لنا في ثوب نرغب فيه، أو هدف نبتغي نواله، أو توازن نسعى الى تحقيقه".

من هذه المقولة نجد أن معنى القيمة يختلف ومن الصعب أن نحدد معناه الدقيق حيث نجد القيمة مصطلح موجود في كل مجالات الحياة وخاصة عند الإنسان من ناحية العمل أو رغباته وغايته في تحقيق اهدافه.

وعليه لا توجد قيمة واحدة بل عدد من القيم نفضل بعضها على بعض بصفة تلقائية الى حد ما. وتنقسم بالنسبة لكل انسان الى قيم حقيقة وقيم غير حقيقية، وهي على كل حال كثيرة، وميدانها واسع تحد معالمه كل الالفاظ المتقابلة التي يمكننا تفضيل مدلولاتها بعضها على بعض، ونقول عنها: "انها خير من... او أحسن من... او أفضل من..." فالشجاعة خير من الجبن، والجمال خير من القبح، والفرح خير من الحزن وهكذا...[2].

فهذه الأمثلة يشتمل كل واحد منها على قيمة وما يقابلها، فالعدل والشجاعة، الحلم قيم متمايزة ولكنه يمكننا أن نظهر ما بينها من قرابة إذا جمعناها تحت عنوان "القيم الأخلاقية" وكذلك الجمال والطافة إذا ادرجناها تحت عنوان "القيم الجمالية" والحق والباطل تحت عنوان "القيم منطقية"[3].

[1]، د، الربيع ميمون، نظرية القيم في الفكر المعاصر بين النسبية والمطلقة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص30
[2]، المرجع نفسه، ص 31
[3]، المرجع نفسه، ص32

2. المدلول الاصطلاحي للقيم عند "ديوي":

لفظ "القيمة" له معنيين مختلفان تمام الاختلاف فهو من جهة يدل على موقف الاعتزاز بشيء وإيثاره على اعتباره انه ثمين ونفيس من اجل ذاته–في جوهره بحد ذاته، وهذا اسم لخبرة كاملة أو تامة، فتقدير قيمة الشيء في هذا المعنى يفيد التذوق والاعتداد بالشيء واعتباره من أن لفظ قيمة من جهة أخرى يعني التقويم بمعني عمل عقلي مميز قوامه المقارنة والحكم.

فالقيم قد ترتبط ارتباطا وليد ذاته بالهوى أو الرغبة أو الميل ومع ذلك فليس بكل هوى أو رغبة أو ميل وانما بضروب الهوى والميل والرغبة التي هي موضوع استصواب وموافقة واستحسان[1]، وان المتع وموضوعات الرغبات والاشتهاء حالة ظهورها ليست قيما وانما هي مادة مشكلة فيها نظر لبناء وخلق وابتداع القيم.

إن القيم التي هي "الخارجية" أو "طارئة" أو "أدائية" يمكن تقدير قيمتها منطقيا لأنها ليست سوى وسائل، وليست غايات في أي معنى حقيقي.

وكوسائل فإن فاعليتها يمكن تقريرها وتحديدها بوسائل تتحمل الفحص العلمي، ولكن "الغايات" التي تخدمها هي مجرد مسائل لما يتصادف أن تحبه أو تكرهه بدون تعقل، أي من الجماعات أو الطبقات أو الأحزاب أو الأجناس[2].

لقد بدأ الفيلسوف الأمريكي جون ديوي بفلسفة التربية، ثم انتقل إلى فلسفة الخبرة وهو الآن في أواخر حياته ينتهي بفلسفة في القيم حيث يرى بأن القيم هي لب الفلسفة وصميمها، فلقد انتهى ديوي كما انتهى أفلاطون من قبل إلى أن صميم الفلسفة هو البحث في الخير، وهي المحاضرات التي كان يلقيها افلاطون في أواخر حياته ولم يدونها، ولكن ديوي اقتحم قلب هذه المشكلة الدقيقة، مشكلة القيم وأعلن فيها رأيه الذي أقامه على المناهج العلمية[3].

---

[1]، رالف ن. وين، قاموس جون ديوي للتربية "مختارات من مؤلفاته "، ترجمة محمد علي العريان، مكتبة الأنجلو مصرية مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة- نيويورك، 1964، ص176

[2]، المرجع نفسه، ص177

[3]، د. احمد فؤاد الاهواني، نوابغ الفكر الغربي جون ديوي، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1968، ص75

بحيث أن ديوي لم ينظر الى القيمة من الزاوية الأنطولوجية الهادفة الى اسباغ حلة شرعية على العمل، وانما ذهب على العكس، الى ان القيمة سمة أداتية خالصة.

وما الانسان في نظره الا كائن بيولوجي واجتماعي، وليس للقيم لديه سوى معنى واحد هو معنى النجوع، بل ان القيم الروحية ذاتها لا تتصف بصفة الاستقلال، ولا الاصالة لأنها لا تزيد عن ان تكون تعبيرا عن الإخفاق يستهدف تمويه اخفاقنا على صعيد الواقع وبينا يهبط النظر الديني والنظر الميتافيزيائي من القمة الى مادونها فإن الفكر الذرائعي ينهض من القاع صاعدا[1].

ومما يتوضح لنا ان الفلسفة تبحث في القيم، لأن أكثر اشتغالها بالإنسان وسلوكه في الحياة، ولا سلوك عند الانسان العاقل بغير اتجاه الى يمين أو يسار، وهذا الاتجاه يقتضي معرفة قيمة ما نحن مقدمون عليه، وهذه القيمة هي التي تحدد السلوك وتوجهه[2]، بمعنى ان القيم اهتمت بسلوك الانسان وتوجيهه في مختلف اتجاهات في حياته اليومية.

ومن هنا نجد واقع القيمة عند جون ديوي واقع راسخ في كيان الانسان من الناحية النفسية، ولكنه لا يرسخ في عواطف الانسان أو هيجاناتهم وانما تمتد جذوره الى اهتمامهم وهم يسعون للتوفيق بين أنواع اهتماماتهم توفيقا ناجعا على مستويات العمل، وليس الخير غائية مثالية لهذه المستويات العملية، بل هذه المستويات ذاتها بوصفها ناجعة متسقة[3].

[1]، د. عادل العوا، العمدة في فلسفة القيم، ط 1، دار طلاس للدراسات والترجمة، دمشق، 1986، ص 174
[2]، د. احمد فؤاد الاهواني، نوابغ الفكر الغربي جون ديوي، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1968، ص75
[3]د. عادل العوا، المرجع نفسه، ص174

ثانيا: الخلفية الفلسفية والتاريخية لمفهوم القيمة عند ديوي:

1. في الفلسفة اليونانية:

أخذ ديوي عن اليونانيين في الفلسفة أمورا، ورفض أمور أخرى، حيث أخذ عنهم روح الفلسفة واتجاهها الى البحث في الأمور الإنسانية ومحاولة الرقي بالمجتمع عن طريق التربية والجرأة في مهاجمة التقاليد الجامدة التي لا تساير الزمن وذلك بالنظر الحر والنقد المر[1]، حيث انتقد ديوي مجموعة من النظريات والمبادئ ومن بين هذه الانتقادات التي ركز عليها الفيلسوف الأمريكي وهي رفض المنطق الأرسطي، ومبدأ الفضيلة المثالية عند أفلاطون وتأثره بفلسفة اللذة والمنفعة عند الفيلسوف أبيقور.

أ) رفض منطق الارسطي:

إن التفكير الفلسفي محكوم بالمنطق أو تعدد المذاهب الفلسفية واختلافها في وجهات النظر، والنظريات المنطقية ليست بمنأى عن هذا التضارب والاختلاف.

أن أي تجديد في الفلسفة يستدعي تجديدا واصلاحا في المنطق، لأن أي نظرية منطقية تعكس بشكل ما الاتجاه العام للمدرسة الفلسفية التي تنطق هذه لنظرية باسمها، وبالتالي فإن أي تصور جديد للمشكلات الفلسفية، أو نظرة الى علاقة المنطق بالفلسفة بطريقة مختلفة تحتاج الى منطق[2]، وهذا ما يدعو إليه البراغماتيون هو مراجعة وتقويم كل ما أنتجته البشرية من علوم وأفكار، ليتمكن العلماء انطلاقا من تجارب الأجيال السابقة من العلماء واخفاقاتهم ونجاحاتهم، من التحكم في قيادة وادارتهم بما يسمح للإنسان السيطرة على الطبيعة وتسخيرها للمصلحة البشرية كلها، لذا فقد جاءت النظرية المنطقية البراغماتية رد فعل على المذاهب المنطقية الأخرى، بمعني أن البرغماتيون وعلى راسهم جون ديوي بنى فلسفته على أساس الانتقادات

[1]، د. احمد فؤاد الأهواني، نوابغ الفكر الغربي جون ديوي، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1968، ص36
[2]، د. منتهى عبد الجاسم، معيار العلم والأخلاق في الفلسفة البراغماتية، ط1، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان، سنة 2013، ص 79

الموجهة أساسا لمنطق ارسطو، حيث اعتبر ديوي ان العلم القديم" كان على خطأ في فكرته عن هدف البحث العلمي ومنهجه وانه دفع العقل الى الطريق الباطل"[1].

لم يكن مسعى "ديوي" في معالجة موضوع المنطق ليخلو من الانتقادات الموجهة أساسا ضد المنطق الارسطي كما لم تكن محاولاته هي الأولى، اذ سبقته محاولات تناولت بالنقد المنطق التقليدي وابرزت ما فيه من عقم وعيوب، فرغم الإعجاب والتقدير الكبيرين الذين بيديهما "ديوي" للثقافة اليونانية، وفلسفة ارسطو على وجه الخصوص، حيث يشيد بها قائلا: "كانت الثقافة اليونانية، خصبة في انتاجها الفني خصوبة غير مألوفة، كما امتازت كذلك بمشاهداتها المنوعة الدقيقة للظواهر الطبيعية، وبتعميماتها الشاملة التي صاغت فيها تلك المشاهدات..."[2].

ويرتكز نقد ديوي لمنطق ارسطو بالأساس على ظروف العلم والثقافة اليونانية التي مدت المنطق بأسسه ومادته "فلا بد لكل نقد للنظرية المنطقية الارسطية من ارتباط يجعلها لا تصلح اليوم من أن تكون منطقيا"، ويرى "ديوي" إن كثيرا من مرتكزات المنطق القديم قد تغيرت في ظروف العلم المعاصر، في هذه الإشارة الى موقف المنطق من الخبرة أو الواقع وخضوعه الى التغير والنسبية، بدل الثبات والاطلاق، ويمكن أجمال نقاط الاختلاف الجوهرية بين نوعي من المنطق[3]، بما يأتي:

- **تصور الكم والكيف:**

أن العقبة الأساسية التي كانت أمام عملية البحث العلمي في الفلسفة اليونانية هي عدم الاهتمام بمسالة الكم واغفالها. لقد أهل الكم لكونه ينقص من القيمة المعرفية الحقة، وذلك لإعلائها من شان النظر وبحثها عن الحق الثابت، حيث أن أرسطو مؤسس المنطق ينظر الى الكم على أنه عرض بمعنى "ان التغير الذي يحصل للشيء لن يؤثر في الطبيعة" وهذا يرجع

[1]، د. منتهى عبد الجاسم، معيار العلم والأخلاق في الفلسفة البراغماتية، ط1، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان، سنة 2013، ص 80

[2]، د. محمد جديدي، فلسفة الخبرة "جون ديوي نموذجا"، ط1، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، سنة 2004، ص111

[3]، د. منتهى عبد الجاسم، معيار ، المرجع السابق، ص 80

الى النظرية العلمية التي كانت سائدة آنذاك والتي ترى أن الكون يتكون من عناصر الأربعة التي كانت تقول بها الفلسفة اليونانية والى الفصل بين الفكر والعمل المتضمن في الفكر اليوناني[1].

والتي اعتبرت أن موضوع المعرفة الصحيحة هو الجوهر، والجوهر لا صلة له بالكم، لان الكمي متصل بالتغير وكل ما مسه التغير فهو غير جوهري، فالمعرفة لكي تكون يقينية يجب ان تتعلق بما كان موجودا من قبل أو بما له وجود جوهري" فهي خلافا للمعرفة العلمية الحديثة التي اعتنت بمسالة الكم وجعلته من أولوياتها حتى صح القول انها معرفة كمية، ويعود سبب تقدمها وانتشارها بدرجة أولى الاهتمام المتزايد بالتكميم أو القياس الكمي[2].

ومنه نجد عدم اهتمام الفلسفة اليونانية بالكم، شكل عقبة وشرطا سلبيا امام عمليات البحث والفحص الداخلة في المعرفة المرتبطة بشيء سابق وحدد سلفا الخصائص الأساسية المنسوبة الى العقل وادواته المعرفية حتى تبقى خارج ما يعرف ولا تتفاعل مع موضوع المعرفة، على حين ان القياس الكمي يستدعي التفاعل والتوجيه والقيام بإجراءات[3].

وهذا ما أشار اليه ديوي حين قال انه "لا يعرف شيئا ادل على فهم العلم اليوناني من اعتبار أرسطو الكم عرضا، أي ما يمكن ان يتغير في نطاق الحدود شيء من الأشياء دون ان يؤثر في طبيعته، ويكفي ان نستعرض في اذهاننا تعريف "ديكارت" الكم انه جوهر المادة حتى تتحقق من حصول ثورة فكرية أي حصول تغيير حاسم في وجهة النظر، لا مجرد زيادة مطردة في دقة المعلومات، بل تغيير ينطوي على التخلي عن الصفة الجمالية للشيء[4].

مما يتضح لنا أن المعرفة اليونانية اغفلت هذا جزء الكمي، واعتبرته مما ينقص من قيمة المعرفة الحقة، بسبب اعلائها من شان النظر وبحثها من الحق الثابت، فهذا "ارسطو" ينظر الى

[1]، د. منتهى عبد الجاسم، معيار العلم والأخلاق في الفلسفة البراغماتية، ط1، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان، سنة 2013، ص 81

[2]، د. محمد جديدي، فلسفة الخبرة "جون ديوي نموذجا"، ط1، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، سنة 2004، ص120

[3]، المرجع نفسه، ص 121

[4]، جون ديوي، البحث في اليقين، ت: احمد فؤاد الاهواني، طبع بالهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية، القاهرة، سنة 2015، ص 116

الكم باعتباره عرضا ومعناه ان التغير الذي يحصل للشيء لن يؤثر في طبيعته وعلى العكس من هذه النظرة نجد ديوي في العصر الحديث يعتبر الكم جوهر المادة[1].

بوجه عام، فإن هذا التصور الذي جاء به العلم الحديث، قد اوجد أساليب ووسائل غذى أنظمة الوحدات التي نقيس بها الاشياء المحسوسة، وكان ثمرة كشف الطرق التي بها يتيسر أعظم قدر في الانتقال الحر من التصور الى آخر، ومكن الإنسان من معرفة الأشياء المحيطة به وتسخيرها لأغراضه وحاجاته أكثر من ذي قبل، ويتصل بهذا الاختلاف حول مسالة الكم، اختلاف أخر يتعلق بالجانب الكيفي أو ما يمكن تسميته التجانس مقابل الكثرة الكيفية (التنوع)، حيث أن الافتراض القائم على مبدأ التنوع من خلال صفات كيفية والتي اتسم بها موضوع المعرفة في تصور اليونان للطبيعة، يخالفه افتراض العلم الحديث القائم على مبدأ التجانس[2].

- **تصور العلاقات:**

لم تختلف نظرة المنطق القديم للعلاقات في عرضيتها، كما هو الحال مع الكم، أي ان الشيء المتعلق بغيره معناه انه غير مكتف بذاته وهذا نفي لصفته الجوهرية لان الجوهر قائم بذاته ولا يحتاج لغيره، فالعلاقات عند ارسطو "مثل الكمية لا شان لها بجوهر الشيء او طبيعته، ولذلك لم يكن لها حساب نهائي في المعرفة العلمية"[3].

لكن من وجهة نظر ديوي لا يقر بهذه النظرة ويعكسها رأس على عقب، فما كان يعتبره المنطق الكلاسيكي عرضا وثانويا أصبح هو صلب ما يشكل العلم الحديث وحجر الزاوية فيه، وهذا ما لا يتردد "ديوي" في التأكيد عليه عندما يقول: "فإذا أخذنا بعين الاعتبار قياس المقادير

[1]، د. محمد جديدي، فلسفة الخبرة "جون ديوي نموذجا"، ط1، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، سنة 2004، ص122

[2]، المرجع نفسه، ص 123

[3]، د. منتهى عبد الجاسم، معيار العلم والأخلاق في الفلسفة البراغماتية، ط1، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان، سنة 2013، ص81

الكمية والعلاقات، لم يكن اسرافا منا في القول ان نقول ان ما قد نبذه العلم اليوناني والمنطق اليوناني هو نفسه الحجر الزاوية الرئيسي في العلم الان"[1].

فقد اعتبر ديوي أن منطق أرسطو هو منطق التعريف والتصنيف وأن "مهمته تكتمل بانتساب الأشياء المتغيرة الى أنواع دنيا، وتميزها عن الضروري الكل الثابت"، فالعلم الحديث يبدا بحثه عن الأشياء كما يتعامل معها الانسان في تجربته اليومية، بحيث ينظر اليه العلم الحديث على انه حوافز للفكر ومواد للمشكلات وليست حلولا لها، لذا لابد من تحليل الأشياء بواسطة الأسلوب التجريبي في البحث، وبالتالي تغير هدف العلم الحديث، بعد رفضه لمسالة العلاقات، فأصبح هدفه الكشف عن العلاقات الثابتة بين المتغيرات[2].

- **الغائية والتغير:**

إن السمة المميزة لمنطق أرسطو في الغائية، حيث اعتبر أن التبدل الحاصل في الكائنات الحية يهدف الى غاية معينة، وان كل مرحلة من مراحل التبدل تمهد للمرحلة التالية حتى يبلغ الكائن غايته، ويعود سبب اعتماد ارسطو الغائية أساسا لمنطقة، هو نظرته الى موضوعات المعرفة على أنها أشياء، في حين ان العلم الحديث بحسب ديوي ينظر اليها باعتبارها معطيات وسائل تتوصل بها للعمل وليست غايات نهائية[3].

ويحمل ديوي إقرار الفلسفة الأرسطية بغائية الطبيعة مسؤولية تقييد البحث لعلمي، حيث ان العلم والأخلاق ظلا تابعين لمبدأ واحد هو الغائية، وكانت هذه الفلسفة هي المهيمنة في أوروبا ازيد من الفي عام.

أنه بعد تحول المنطق إلى مجرد منطق صوري لا يهتم بمادة موضوعه، فقد اختفى الجانب الغائي فيه، ومن ثم لا داعي لبقائه ووجب أن يختفي كل مسوغ للحفاظ على المنطق الأرسطي،

[1]، د. محمد جديدي، فلسفة الخبرة "جون ديوي نموذجا"، ط1، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، سنة 2004، ص126

[2]، د. منتهى عبد الجاسم، معيار العلم والأخلاق في الفلسفة البراغماتية، ط1، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان، سنة 2013، ص82

[3]، المرجع نفسه، ص83

لأنه اضحى صورة فارغة بدون مادة[1]، وبحسب رأي ديوي، فإن الفلسفة الارسطية الغائية هي المسؤولة عن التبسيط وتغير البحث العلمي، فضلا عن ان المنطق الارسطي يبنى على فكرة (الانواع الثابتة) وهذا دليل على رفضه التغير "فالعالم في العلم القديم هو عالم مغلق يتكون في الداخل من صورة ثابتة وله من الخارج تخوم محدودة"، وعليه فالمنطق الملائم لمعرفة الاشياء بحسب ديوي هو" ما أكده داروين في كتابه أصل الأنواع وهو اخر مرحلة علمية وصلنا اليها"، فالتغير والتطور هما من السمات الأساسية للمنطق والعلم المعاصرين[2].

ومن هذا نجد ان ديوي قد بين لنا وجه الحاجة الى هذا المنطق الذي يجب ان يكون مزدوج الاتجاه في تأكيده على التوحيد بين الذوق والفطري والعلم بحيث ان "حاجتنا اليوم...الى منطق موحد يشمل بنظرته حركة الانتقال في الاتجاهين معا بين التذوق الفطري والعلم"[3].

مما يتضح لنا في الخير أن رغم الانتقادات البراغماتية للمنطق القديم، فإن ديوي يرى أن المنطق الأرسطي يمثل وثيقة تاريخية جديرة بالتقدير، وبهذا يتاح بناء منطقي يصلح لعلم عصرنا اذ يقول: "مع ذلك فالمنطق الارسطي لو اخذ بروحه، بدل أن يأخذ بحرفيته لوجدناه ذا دلالة هادية، من حيث اصوله وفروعه لما ينبغي اداؤه في المنطق في الموقف الراهن"، والبراغماتيون يبينون ضرورة إيجاد منطق موحد، يمثل بنظرته الاتجاهين معا، الذوق الفطري والعلم لجميع العلوم[4].

[1]، د. محمد جديدي، فلسفة الخبرة "جون ديوي نموذجا"، ط1، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، سنة 2004، ص131

[2]، د. منتهى عبد الجاسم، معيار العلم والأخلاق في الفلسفة البراغماتية، ط1، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان، سنة 2013، ص83

[3]، د. محمد جديدي، المرجع السابق، ص134

[4]، د. منتهى عبد الجاسم، المرجع السابق، ص 84

ب) مبدأ الفضيلة المثالية عند أفلاطون:

لقد كان لفلسفة افلاطون المثالية الممتزجة بالواقعية أثر على مبادئه التربوية التي تهدف إيجاد الشخصية الإنسانية المتكاملة والتي تجمع خصائص بين الجمال والفضيلة والمعرفة القائمة على أساس من التفاعل المستمر بين الجسم والعقل والروح، ومن خلال كتاباته الفكرية والمتجلية في كتابي "الجمهورية" و"القوانين" نلمح تمازج السياسة والتربية ونستشف أهدافا تسعى الى تحقيق النظام الأمثل لمدينة الفاضلة، فلقد بنى نظريته العامة عن طبيعة الخير على فكرته الميتافيزيقية وتحدث عن نظرية المثل وان الموجودات المدركة هي صورة أرضية من هذا المثل التي تتصف بالكمال والخلود والخير في أي شيء كامن في مدى اقتراب هذا الشيء من صورته المثالية[1].

حيث تنظر الفلسفة المثالية للقيم بانها مطلقة وغير متغيرة، فالخير والحق والجمال لا تتغير بصورة أساسية من جيل الى جيل، او من مجتمع الى مجتمع، بل تظل ثابتة في جوهرها فهي ليست من صنع البشر بل هي جزء من الطبيعة الكون ذاته، وتعتمد هذه الفلسفة على الأساس القيمي الذي وضعه الفيلسوف اليوناني افلاطون وهو أساس يتمثل عالم القيم الذي يجمعه مثلث افلاطون (الحق، الخير، الجمال) او ما يسمى القيم العليا[2].

حيث اختلف البراغماتيون في هذه النظرية ويرون أن القيم نسبية فليس هناك خير مطلق او شر مطلق فلخير او الشر يعود للممارسة والخبرة اذ يرى ديوي ان الخبرة والممارسة ينبوع القيم أما المثاليون فعلى النقيض من ذلك فهم يرون أن القيم مطلقة وفيها الخير سواء مارسها الانسان أم لم يمارسها[3].

كما تتلخص نظرية أفلاطون بأن الخير واحد وأن الفضائل مهما تعددت فإنها ترجع الى الخير وتصدر عنه، ويكفي أن يكون الانسان على علم بالقيم الأخلاقية لكي يسلك سلوكا

[1]، د. زكريا إسماعيل أبو الضبعات، الديمقراطية وفلسفة التربية، ط1، دار الفكر ناشرون والموزعون، عمان، سنة 2009، ص44

[2]، د. عبد الكريم علي اليماني، فلسفة القيم التربوية، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، سنة 2009، ص129

[3]، د. عبد الكريم علي اليماني، المرجع نفسه، ص 83

فاضلا، فالسلوك الأخلاقي قائم على المعرفة، وليس للشر سوى خطأ يمكن إصلاحه بالتربية والتعليم، ومن ثم فإن الفضيلة يمكن اكتسابها عن طريق التعليم[1].

ومما يتضح لنا أن نظرة افلاطون للقيمة أنها مطلقة وثابتة باعتبارها قيم عليا تتضمن الخير والفضيلة الكاملة عكس ديوي الذي رفض قيم عامة أخلاقية للسلوك، وأن كل ما يؤكد عليه هو ضرورة الاطمئنان الى شيء يخدم الأغراض العملية لأنه ينظر إلى الأخلاق باعتبارها من الأمور العملية، ولهذا فهو يرفض مبدأ الإلزام الخلقي ويرى أن منبع الأخلاق هو الإنسان، والأخلاق ليس لها قيمة إلا باعتباره هو، فالأخلاق علم إنساني حيث يقول ديوي: "أن السلوك في جوهرة وعلى الإطلاق من الغرائز والدوافع الفطرية"[2].

وهذا يعني أن الأخلاق نسبية والقول بقيم ثابتة لا معنى له، وأن الإنسان طبيعي مكتفي بذاته تماما، وهو ليس بحاجة إلى القيم العليا كما فسرها افلاطون ولا يستمد الإنسان أي شيء من عالم متجاوز لعالم الطبيعة، وعليه فإن البشر لا يستخدمون الأخلاق إلا لتبرير أفعالهم، والأصل هو الفعل والقيم ما هي إلا جزء العملية الإبداعية للإنسان، لأن المعنى مرتبط بالغاية والغاية مرتبطة بالنتيجة وبالفعل، ومنه فإن الأخلاق هي معايير صنعها الإنسان لغاية معينة وفي وسعه أن يبدلها أن شاء وأن يضع لنفسه غاية، وبالتالي الأخلاق مرتبطة بالنتيجة والفعل[3].

3. أبيقور:

يسعى الانسان في كل لحظة من حياته الى الخير الأسمى وذلك بالأخلاق، ولئن اتفق كل الفلاسفة على أن الغاية القصوى التي يسعى اليها كل إنسان هي الخير الذي يوفر السعادة ويحققها فهم لم يحددوا دوما بنفس الطريقة طبيعة هذا الخير ولم يجمعوا إجماعا نهائيا على سبل الفوز بالسعادة، ولعل أبيقور قد حاد أكثر من غيره عن الدروب المطروقة لما عرف الخير باللذة

[1]، د. عبد الكريم علي اليماني، فلسفة القيم التربوية، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، سنة 2009، ص129
[2]، د. منتهى عبد الجاسم، معيار العلم والأخلاق في الفلسفة البراغماتية، ط1، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان، سنة 2013، ص 124
[3]، المرجع نفسه، ص125

ولما حصر السعادة في التمتع بملذات الدنيا، منطلقا في ذلك من معاينة السلوك الطبيعي للإنسان، دونا تمييز بين من ينزع اليه هذا الانسان وما ينبغي عليه القيام به[1].

مما يتوضح لنا أن المدرسة الأبيقورية التي كانت امتدادا للمدرسة القورينائية والتي نادت باللذة الفاضلة كخير الأسمى، وقد قدم ابيقور موقف الأخلاقي على النزعة المادية الذرية التي قال بها ديمقريطس، لكنه أدخل تعديلا فيما يتعلق بمبدأ اللاحتمية التي لابد التسليم بها في نظر أبيقور حتى يكون هناك تبرير لحرية الإرادة الإنسانية.

ويرى أبيقور أن اللذة وحدها هي الخير على الدوام، فهو لا يرى في الحقيقة والفضيلة قيمتين في ذاتهما، بل فيما تحققهما من لذة وسعادة، ويولي قضية الاختيار الحكيم بين اللذات عناية أكثر من عنايته بالجانب النظري من الأخلاق، وعليه تكون فلسفة أبيقور أُسّا من أسس البراغماتية[2]، حيث يقول أبيقور: "إن اللذة هي بداية الحياة السعيدة وغايتها، وهي الخير الأول المرافق لطبيعتنا والقاعدة التي ننطلق منها في تحديد ما ينبغي اختياره وما ينبغي تجنبه، وهي أخيرا المرجع الذي نلجأ إليه كلما أتخذنا الإحساس معيارا للخير الحاصل لنا"[3].

[1]، ابيقور، الرسائل والحكم، ت: جلال الدين السعيد، دار العربية للكتاب، ص109
[2]، د. منتهى عبد الجاسم، معيار العلم والأخلاق في الفلسفة البراغماتية، ط1، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان، سنة 2013، ص58
[3]، ابيقور، المرجع السابق، ص 113

2. في الفلسفة القرن الوسيط:

أ) ماكيافيللي:

يعد ماكيافيللي من بين الفلاسفة الذين حملوا على عاتقهم مسؤولية تخليص ايطاليا من الفساد السياسي والاجتماعي الذي تعيشه بلاده، فانتهج منهج جديد ومغايرا للفلاسفة الذين سبقوه لدارسة الدولة وتحقيق الأمن والاستقرار فيها خاصة فيما يخص السلطة والمحافظة عليها، فماكيافيللي أرادا أن يستقل بالسياسة وأنظمة الحكم بعيدا كل البعد عن القيم الأخلاقية والمبادئ الإنسانية، إذ يرى أن الغرض من وجود دولة هو الحفاظ عليها بمختلف الوسائل أو الطرق سواء كانت مشروعة أو غير مشروعة، أخلاقية أو لا أخلاقية، وإنما المهم هو الغاية من وجود الدولة في حد ذاته، وعليه فإن الغاية تبرر الوسيلة.

لقد كانت أفكار ماكيافيلي السياسية التي ضمنها كتابه "الأمير" بالفعل نقله جديدة في دراسة وتحليل وتفسير الموضوعات السياسية، خاصة فيما يخص السلطة والمحافظة عليها من قبل الذين يملكون زمامها، فإن ماكيافيللي أرادا أن يستقل تماما بعلم السياسة ويفصله عن علم الأخلاق.

كما ساهم ماكيافيللي في تكوين علم الاجتماع السياسي بشكل كبير، أهمها تلك النظرة الواقعية الموضوعية الى الظاهرة السياسية وفصل السياسة عن القيم والأخلاق، كما انه وضع أسس نظرية الصفوة السياسية، التي تم تطويرها فيما بعد لتصبح موضوعا رئيسا من موضوعات علم الاجتماع السياسي[1].

[1]، مولود زايد الطيب، علم الاجتماع السياسي، جامعة السابع من أبريل، ليبيا، سنة 2007، ص 19

حيث أن ماكيافيللي أول من رفع شعار "الغاية تبرر الوسيلة" فإذا ما كانت غاية الحاكم هي البقاء في السلطة وتطويع المحكومين لسلطانه، فإذا يجوز له أن استعمل كل الطرق والوسائل التي تضمن له ما يريد، فتغيب بذلك الوسائل الأخلاقية والقيم الاجتماعية[1].

وعليه فإن ماكيافيللي يفصل بين الأخلاق والسياسة، ويخرج القيم الأخلاقية من الدائرة السياسية تماما، فماكيافيللي لم يكن مبالي لما للأخلاق والدين من اثار في نفسية الجماهير على الحياة الاجتماعية والسياسية، وكان يقر على استخدام الحكام لوسائل غير أخلاقية لتحقيق غاية أو مصلحة البلاد[2].

ب) هوبز:

وضع هوبز مجموعة من خصائص لقوانين الطبيعة هذه الأخيرة باعتبارها قوانين أخلاقية وقد يستخدم هوبز فيهما مستويين وهما مصطلحي الخير والشر، فالأول وصفي نسبي أناني يعتبر موضوع الرغبة خيرا، والثاني هو الأخلاق العقلية عند هوبز كما تميز عنها قوانين الطبيعة التي هي القوانين الأخلاقية فقوانين الطبيعة مثلا: "العدالة والأنصاف، والتواضع ، والرحمة، وباختصار القاعدة التي تقول: عامل الإنسان كما تريد أن تحب يعاملوك به ضد المباشر لانفعالاتنا الطبيعية التي تؤدي بنا الى التعصب والحزب، والغرور أو الزهو و الانتقام وما شاكل ذلك..."[3].

وفي استطاعتنا أن نقول إن قوانين الطبيعة هي التي تقود الإنسان خارج حالة الحرب البشعة التي يخلقها باستسلامه لانفعالاته الطبيعية، وإذ كان سلم الخير الحقيقي وما يؤدي اليه لابد أن يكون خيرا، فإن قوانين الطبيعة هي بالضرورة قوانين أخلاقية، وهي أيضا قوانين الهية حيث يقول هوبز: "فنفس القانون الذي نقول عنه انه طبيعي هو أيضا أخلاقي، وهو أيضا ألهى

[1]، مولود زايد الطيب، علم الاجتماع السياسي، جامعة السابع من أبريل، ليبيا، سنة 2007، ص20
[2]، د. نور الدين حاروش، تاريخ الفكر السياسي، ط2، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، سنة 2010، ص 282
[3]، د. امام عبد الفاتح امام، توماس هوبز فيلسوف العقلانية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، سنة 1985، ص 343

ذلك لأن العقل الذي هو قانون الطبيعة هو نفسه عطية من الله لكل انسان حتى يحكم به على افعاله ويسيطر على تصرفاته"[1].

3. في الفلسفة الحديثة:

أ) نيتشه:

أما عن الفيلسوف الألماني فردريك نيتشه، فقد اخذت البراغماتية عته ما يتعلق بالحكم الأخلاقي الذي طرحه في كتابيه (ما وراء الخير والشر) عام 1886، و(تاريخ تسلسل الاخلاق) عام 1889، حيث نجد أفكار تدمير الاخلاق القديمة، إذ رأى أن إرادة القوة هي أساس الاخلاق وهدف الإنسانية هو الإنسان الأعلى، ويكون هذا الإنسان الأعلى بالتربية، وبمثل هذه التربية يرتفع الإنسان فوق الخير والشر، ولا يتردد في اللجوء الى العنف والقوة في سبيل الوصول الى غايته[2].

حيث نجد أن الخير عند نيتشه هو كل ما يعلو في الإنسان عن طريق الشعور بالقوة، وأما الشر فهو ما يصدر عن الشعور بالضعف، وتبعا لذلك، فإن السعادة هي شعور الكائن بأن القوة لديه تنمو وتزداد حجما، لذلك فان حبنا للإنسانية يفرض علينا قبل كل شيء ان نعمل على سحق الضعفاء الذي تعوزهم القوة، وتبعها لذلك يمكن اعتبار أن "إرادة القوة" بالمعنى النيتشوي، الوسيلة الوحيدة لخلق القيم[3].

مما يتضح لنا أن الخير هو كل ما يزيد الشعور بالقوة، بل هو إرادة القوة، اما الشر فهو الضعف، إذا قوام هذه الاخلاق هو الصراع من اجل البقاء (البقاء للأفضل) وهنا تغلب الأثر على بواعث التضحية، وبالتالي رفض الكثير من الأفكار الأخلاقية كالشفقة والغيرية، فهو يدعو الى استبدالها بالفردية، والانانية والفردية، حيث تبرز أهمية الفرد وتضعه في الاعتبار الأول،

[1]، د. امام عبد الفاتح امام، توماس هوبز فيلسوف العقلانية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، سنة، ص 344
[2]، د. منتهى عبد الجاسم، معيار العلم والأخلاق في الفلسفة البراغماتية، ط1، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان، سنة 2013، ص60
[3]، نبيل عبد اللطيف، فلسفة القيم "نماذج نيتشوية"، ط1، التنوير لطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، سنة 2010، ص70

والفرد في أمريكا ليس الفرد المنعزل مع ذاته بل الذي ينشأ ويعيش في بيئة إنسانية ويمكن تربيته[1].

ومنه يرى نيتشه أن لا شيء في هذا العالم ثابت، فكل شيء متحول وسائر الى التغير، والحقيقة الوحيدة التي نعترف بها هي الصيرورة الأبدية للأشياء والتحطيم المتواصل المقترن بإعادة الخلق وهذا الأخير لا يتم إلا عبر تأسيس القيم، أي تأسيس المعنى، ولكن يلاحظ نيتشه ان كل المعاني لا تتساوى فيما بينها لأن كل شيء يكتسب معناه من القوة التي تكون قادرة على حيازته والاستحواذ عليه، وهكذا فإن الشيء في حد ذاته ليس محايدا، بل يتفاعل مع القوة التي ترتبط به[2].

لذا لقد اتسمت البراغماتية بالأفكار النفعية في عقلية وسلوك الفرد من خلال المؤسسة الاجتماعية الأكثر تأثيرا، وهي (المدرسة)، دعا ديوي ونجح في دعوته حتى في خارج أمريكا، الى صناعة العقول والسلوكيات، وصوغ واقعية نفعية براغماتية خالية من القيم والعوالم الغيبية، أو مصادر المعرفة العلوية الخفية، لذلك قال ريتشارد رورتي: "ديوي هو نيتشه مزين بعلم إمريكي"[3] من هذه المقولة نجد أن معظم أفكار نيتشه تتشابه مع أفكار ديوي خاصة من الناحية التطور والصيرورة والتنازع على البقاء كذلك في رفضه للقيم الأخلاقية باعتبارها غير ثابتة.

ب) المذهب البروتستانتي (فلاسفة الإصلاح الديني):

لقد عرفت أوروبا في النصف الأول من القرن السادس عشر عددا من المصلحيين الدينيين، ومن هؤلاء نذكر بالخصوص الألماني مارتن لوثر والفرنسي جون كالفن حيث حرص المذهب البروتستانتي على تطور بما يتناسب أعمالهم وافاق تفكيرهم ومن هنا نجد فكرة الإصلاح ديني تمثلت في نشاط الكالفينية الاجتماعي، الذي يعتبر الأكثر تميز في هذا المذهب في نظرته

[1]، د. منتهى عبد الجاسم، معيار العلم والأخلاق في الفلسفة البراغماتية، ط1، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان، سنة 2013، ص60

[2]، نبيل عبد اللطيف، فلسفة القيم "نماذج نيتشوية"، ط1، التنوير لطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، سنة 2010، ص 72

[3]، د. منتهى عبد الجاسم، المرجع السابق، ص60

للأخلاق بغض النظر عن مدلوله العملي الذي يمكن أن يرتديه بفضل نظام الكنيسة والتي اهتمت باكتشاف الحوافز السيكولوجية التي تمتد جذورها الى المعتقدات والممارسات الدينية التي ترسم للفرد سلوكه وتبقيه عليه.

ففي تلك الفترة كان الإنسان يكرر معتقدات مجردة الى درجة لا يمكننا فهمها إلا إذا كشفنا العلاقات التي تبينها هذه المعتقدات مع المصالح الدينية[1]، حيث تنظر الكالفينية الى عدم وجود صراع بين الفرد والأخلاق مع أنها على الصعيد الديني تدع الفرد وحيدا مع إمكاناته الخاصة، ليس علينا أن نحدد معنى وجهة نظر هذه أمام العقلانية الاقتصادية والسياسة لدى الكالفينية، هنا يكمن أساس الطبيعة النفعية للأخلاق الكالفينية، ومن هنا أيضا تنجم خصوصيات هامة في الطريق التي نفهم الشغل بواسطتها[2].

تعتبر البروتستانتية علاقة الإنسان بربه هي علاقة فردية، أي أن الله يبارك لعبده من خلال ما يقوم به من أعمال ولكي يعرف هذه العبد إذا كان الله راض أو غير راضي عنه يجب أن يراقب سلوكه، فإن كانت أعماله تبوء بالنجاح ويعيش عيشة لراضية فالله راض عنه، وإذا كانت سلوكياته غير معتدلة وأعماله غير ناجح فالله بذلك غير راض عنه ويعني كل الأعمال الأخلاقية هي التي تكون نتائج أعماله ناجحة وإذا كانت فاشلة فإنها أعمال غير صالحة.

[1]، ماكس فيبر، الاخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية، ت: محمد علي مقلد، مركز الانماء القومي، لبنان، ص67
[2]، المرجع نفسه، ص73

الفصل الثالث

الفصل الثالث

النزعة القيمية بعد جون ديوي

أولا: الرؤية التجديدية للأخلاق في الفلسفة المعاصرة

1. في الفن والجمال

2. في الاقتصاد

أ) صراع الحضارات

ب) الرأسمالية أرقى نموذج اقتصادي

3. في السياسة

أ) الديمقراطية وحقوق الانسان

ب) عولمة الفكر الغربي في جميع المجالات

أولا: الرؤية التجديدية للأخلاق في الفلسفة المعاصرة:

يعد الشغل الشاغل لـ«جون ديوي» هو تغيير القيم في المجتمعات الإنسانية، ويتخذ "ديوي" بالمنهج العلمي لإحداث هذا التغيير في القيم الأخلاقية والسياسية والجمالية وغيرها، ولهذا سمى الفيلسوف الامريكي "ديوي" مذهبه بالمذهب "الأداتي" لأنه يتخذ من الفكر أداة للعمل على نحو يحقق للإنسان ما يبتغيه من تغيير في مجتمع صناعي ديمقراطي كالمجتمع الأمريكي الذي كان يعيش فيه، وكان "ديوي" يؤمن بأن كل شيء في حياة الإنسان قابل للتغيير وتطور إن دعت الضرورة إلى تغييره وتطوره، ولابد من تغيير أسس السياسة والاقتصاد والتربية وكل شيء مما قد يظن به الدوام والثبات، في سبيل تغيير الحياة تغييراً يجعلها أكثر ملاءمة لظروف العصر الجديد.

من هذا التطور والتغير التي جاءت به الثورة الأخلاقية الكبرى التي ظهرت في تاريخ الفكر الأمريكي عامة وفي هذه المجتمعات خاصة بعدما كانت في العصور القديمة مثالية مطلقة ثابتة فكانت ثورة على الاخلاق والعادات، اتسمت بالشك في التقليد والنزوع المتزايد الى الفردية والايمان بان التماس السعادة واللذة هما أساس اخلاق، وعليه فقد اسقطت الثقة من جميع المنظمات والسلطات اللاهوتية والعقائدية والأعراف المصطلح عليها، فهم يؤكدون ان الأهداف الراهنة والمصالح القائمة للناس غايات او قيم عامة، حيث رفض ديوي كل ما يزعم من "اخلاقيات تقتضي مبادئ ثابتة لا تتغير على مر الزمن، ومعايير ومقاييس وغايات ثابتة بوصفها الوحيدة الاكيدة التي تصون الاخلاق من الفوضى"[1].

حيث يرى جيمس ان لا معنى لقيام علم أخلاقي في عالم ليس فيه حياة إنسانية، بل ان الاخلاق تقوم في عالم فيه كائنات لها مطالب ورغبات واحساسات ومشاعر، هذه الكائنات هي

[1]، د. منتهى عبد الجاسم، معيار العلم والأخلاق في الفلسفة البراغماتية، ط1، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان، سنة 2013، ص122

بنو الإنسان لأن هذا الأخير هو الكائن الخلقي الوحيد في هذا العالم، وبالتالي فقد دعت البراغماتية الى الفلسفة لرسم أهداف الانسان والوسائل الكفيلة بتحقيقها[1].

ومنه نجد أن البراغماتيون رفضوا القول بقيم عامة الأخلاقية للسلوك، وأن كل ما تؤكد عليه هو ضرورة الاطمئنان الى شيء يخدم الأغراض العملية لأنها تنظر الى الاخلاق باعتبارها من الأمور العملية، ولهذا فهي ترفض مبدا الالزام الخلقي وترى ان منبع الاخلاق هو الانسان، والأخلاق ليس لها قيمة إلا باعتباره هو، فالأخلاق علم انساني حيث يقول ديوي" أن السلوك في جوهرة وعلى الاطلاق من الغرائز والدوافع الفطرية"[2].

ومنه نجد ديوي من أهم فلاسفة المعاصرين في تاريخ أمريكا حيث دعا الى اصلاح المجتمعات عن طريق فلسفته العملية التي تسير بفعل نحو التطور والتغيير من ناحية الانسان أولا الذي يعتبر جوهر القيم الأخلاقية التي اعتبر هذه الأخيرة نسبية ومتغيرة بتغير الإنسان في البيئة التي يعيش فيها.

بناء على ما سبق يمكن أن نبين تطور وتغير القيم حسب مكانتها في الفن والجمال وفي السياسة وفي الاقتصاد وهذا من أجل التوصل لحل المشكلات التي مرا بيها فلاسفة القدامى والمجتمعات التي مرت بصراعات وتدهور الأوضاع الاقتصادية وسوء المعيشة التي جعلت الانسان في انحطاط وعدم الإزدهار في العلم وتطور فكرهم.

[1]، د. منتهى عبد الجاسم، معيار العلم والأخلاق في الفلسفة البراغماتية، ط1، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان، سنة 2013، ص123

[2]، المرجع نفسه، ص 124

1. في الفن والجمال:

يعتبر جون ديوي فيلسوف أمريكي يعد من أشهر الفلاسفة الأمريكان الذين ظهروا في القرن العشرين، ومن أهم مؤلفاته في مجال الفن والجمال كتابه " الفن خبرة" حيث ينطلق ديوي في معالجة مشكلة الفن من الفنون البسيطة الشائعة في المجتمعات والتي تلخص ثقافة المجتمع المتوارثة عبر الأجيال من خلال مؤسسات المجتمع وما فيها عادات وخبرات وتختلف هذه الفنون من ناحية المادية مثل النقوش والأسلحة والأدوات والأغطية والأواني الفخارية و ومعنوية كالاحتفالات والحكايات الاشعار وغيرها ما يميز قبيلة عن أخرى ومجتمع عن آخر فيما يشكل خبرات فنية تصل إلى أعلى مستوى من الإبداع في الأعمال الفنية.

من هذا نستطيع القول بان وظيفة الاخلاق تضطلع بمهمة المساهمة في إيقاظ إحساس بالقيم لدى الانسان، تماما كمهمة الفنون لاستيقاظ النفوس لترى الجمال الذ هو فينا وما حولنا ولكننا لا نراه الا بالألفة والعادة لأنه يسير معنا في التيار، فلا يحس البشر الا بالمعاكس لهم في الطريق والمعاكس هو القبيح فلا يرى الا قبحا فلا يفعل الا القبح حتى يصبح قبيحا[1]، وهذا نجده عند بعض من الناس الذين يرو شيء جميل كلوحة فنية يروه من جانبهم الفكري المتخلف فيروها قبيحة ولا معنا لها وهذا منجده في عصرنا الحالي الذي نجد فيه البعد عن الفنون المادية كالرسم في لوحات ايحائية.

فالفن حسب ديوي يعتبر ذلك العمل الذي يميز بالصنعة والمهارة أو مجموعة الطرق والوسائل التي تستعمل للوصل الى نتيجة معينة وفق أصول معينة، وهناك تحديد اخر يقول ان الفن هو انتاج جمالي ينتجه الانسان الواعي ويضيفه الى الطبيعة، فالفن في فترة اليونانية عند افلاطون هو طريقة في التعبير بواسطة أشياء حسية من عالم المثل، لذلك فهو يلعب دور مهما

[1]، د. مصطفى عبده، فلسفة الاخلاق، ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة، سنة1999، ص 22

في تذكير النفس في العالم الذي كانت فيه[1]، اما في العصور الوسطى عند "توما الاكويني"* يرى ان الفن له دور واضح وهو التعبير عن صراع النفس والالام التي تعانيها عندما تبتعد عن الله، ودور الموسيقى والشعر والرسم يجب الا يخرج عن هذا الهدف، أي ان الفن كان خادم للدين ومرتبط بالقيم الدينية، وفي القرن الثامن عشر حدد كانط الفن بانه ليس اظهار الشيء الجميل بل هو طريقة جمالية في اظهار الشيء، اي ان الفن عنده ليس له أي هدف سواء أخلاقي او فلسفي، فقيمة عمل الفنان لا تستمد من الهدف الذي يعمل له، بل من قيمته الجمالية الذاتية من هنا جاءت نظرية "الفن للفن" أي أن الفن يحمل قيمته بداخله كالدين والأخلاق[2].

ومن خلال ما مر بالفن قد وصل الي عصر معاصر وشهد فيه تطورات أثارت اهتمام كبير لدى المجتمعات حيث تطورت النظرة الى الفن وبدا التوجه نحو الفن والخبرة، فلم يعد الفن تقليدا أعمى للطبيعة وتمثيلا لوقائع الحياة يكتفي بنقلها كما هي، بل أخذ على عاتقه إعادة خلق الاشياء وخلق العالم من جديد، ولهذا نجد في الفن متعة، إلا ان هناك من ينظر الى الفن كحامل بالضرورة لرؤى إنسانية، وينقل مضمونا اجتماعيا، ويعبر عن موقف محدد من الحياة وهذا ما نشهده مع الكثير من الشخصيات واهمها ديوي[3].

مما نجد أن الفن قد تغير وتطور من عصر الى آخر ومن مجتمع الى آخر من خلال تطور التكنولوجيا الحديثة واستحداثها لمواد جديدة في التلوين والطباعة سهلت قراءة الروايات والشعر وغيرها من الفنون وانتشرت الى جميع الطبقات فازدهر فن القصة والرواية وتداول الكتب وساعدت اكتشافات علم الضوء وتطور صناعة الألوان وظهر ذلك التطور في فن السنيما[4].

---

[1]، د. منتهى عبد الجاسم، معيار العلم والأخلاق في الفلسفة البراغماتية، ط1، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان، سنة 2013، ص156

(*) توما الاكويني: قسيس وكاثوليكي إيطالي من الرهبانية الدومينكانية، وفيلسوف ولاهوتي مؤثر ضمن تقليد الفلسفة المدرسية، أحد معلمي الكنيسة الثلاثة والثلاثين، ويعرف بعالم الملائكي والعالم المحيط، عادة ما يشار اليه بسم توما، والاكويني نسبة الى محل اقامته في اكوين، توفي في 1274

[2]، المرجع نفسه، ص156

[3]، المرجع نفسه، ص 157

[4]، اميرة حلمي مطر، مدخل الى علم الجمال وفلسفة الفن، ط1، دار التنوير لنشر وطباعة، لبنان، سنة 2013، ص177

كما نجد ان الفن قد ابتعد منذ النص الثاني من القرن العشرين عن الموضوعات والاشكال التقليدية وزادة حرية الفنان والشاعر في ابداع لغته الخاص واستخدام الرموز الدالة على أفكاره وانفعاله وترتب عن ذلك ان ابتعد الفن عن التصوير المباشر للحياة وافتقد السهولة التي كانت تميز القرون السابقة[1].

فقد سار الفن المعاصر في اتجاه الفلسفة المعاصرة في محاولتها تفسير المادة بالامتداد المكاني، بحيث يتحول الواقع الخارجي الى مجموعة من الأفكار التي يتصورها الفنان، ويصبح عالم الفن عالما مقابلا للوعي الإنساني، ولما كان الوعي حرية كما ذهبت الوجودية فكذلك كال الفن الى اللامعقول والتعبير بالرموز عن خبرة الانسان، وتخلت الفلسفة المعاصرة عن التقيد بصورة محددة للكون والانسان، حيث أصبح الفن الحديث لا يرتبط بماهية ثابتة معقولة يمكن الرجوع اليها لتفسير المجردات على نحو ما ظهر في العصور القديمة والوسطى[2].

[1]، اميرة حلمي مطر، مدخل الى علم الجمال وفلسفة الفن، ط1، دار التنوير لنشر وطباعة، لبنان، سنة 2013، ص 179
[2]، المرجع نفسه، ص 180

2. في الاقتصاد:

لقد ساد مبدأ المنفعة نظريا وعملياً الحياة الغربية، ومنها إلى بقية العامل شأنه شأن المذاهب الفكرية الأخرى كالبراغماتية التي سارت على خطواته، وسادت معه رؤية فكرية للعالم تقوم على تجريد القيم الأخلاقية من طابعها المطلق وجعلها نسبية وذاتية ومشروطة بفائدتها وبقيمتها الحالية بالنسبة للأفراد وفي ظل هذا المبدأ لا يمكن ان يوجد أي التزام بقواعد مقبولة للسلوك الأخلاقي، وجعل من الاستهلاك الغاية القصوى للحياة، كما جعل من تحقيق الحد الأقصى من الكسب وإشباع الرغبات أسمى الفضائل، وكل ما يفعله الفرد لتحقيق هذه الغاية لأنه يحقق مصلحته الخاصة وبالتالي فإنه يحقق مصلحة الجميع، من هذا نسلط الضوء كيف كانت الدول تحت حكم صراع الحضارات وعلى كيف تطورت اخلاقيات النزعة الرأسمالية باعتبارها أحدثت تطور في الفلسفة المعاصرة بشكل عام فتمثلت كتالي:

أ) صراع الحضارات:

في ظل هذه التغيرات التي غيرت موازين القوى في العلم، برزت في ثوب جديد، فكرة الصراع بين الحضارات، وتم تأصيلها في المختبرات الفكرية في الولايات المتحدة الامريكية، مما يؤكد ضلوع القطب الأوحد المتربع على قمة هرم السياسة الدولية، فيما يمكن أن نصفه بانه خطة محكمة ومدبرة للزج بالعالم كله في معارك فكرية، ونزاعات دينية، وازمات سياسية، وصراعات ثقافية وحضارية، لتتعزز قواعد النظام الدولي الجديد الذي صاغته القوة الأكثر نفوذا في العالم، ولتتمهد السبل امام نظام العولمة الذي تتحكم فيه لبسط نفوذه على العالم أجمع[1].

يطرح عدد من المفكرين الغربيين خاصة الأمريكيين منهم فكرة صراع الحضارات، او صدمها، في التاريخ الفكري للبشرية في القرنين التاسع عشر والعشرين.

[1]، د. عبد العزيز بن عثمان التويجري، صراع الحضارات في مفهوم الإسلامي، ط2، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الرياط، سنة 2015، ص19

ويأتي فرانسيس فوكوياما* في مقدمة هؤلاء المفكرين الذي اصدر كتاب شهير "نهاية التاريخ" والقول بحتمية صراع الحضارات، ويتعارض مع طبيعة الحضارة فليس لها طابع عرقيا، وهي لا ترتبط بجنس من الاجناس، على الرغم من ان الحضارة قد تنسب الى امة من الأمم، او الى منطقة جغرافية من مناطق العالم، بخلاف الثقافة التي هي رمز للهوية، وعنوان على الذاتية، وتعبير عن الخصوصيات التي تتميز بها امة من الأمم، او يتفرد بها شعب من الشعوب[1].

- **المبادئ التي تقوم عليها الحضارة:**

ولكل حضارة مبادئ عامة تقوم عليها تنبع من عقيدة دينية أو فلسفة وضعية، حتى وأن تعددت العقائد والفلسفات فإن الخصائص المميزة للحضارة، تستمد من أقوى العقائد رسوخا وأشدها تمكنا في القلوب والعقول، ومن أكثرها تأثير في الحياة العامة، بحيث تصطبغ الحضارة بصبغة هذه العقيدة، وتنسب إليها فتكون النسبة صحيحة لصحة المبادئ التي تستند اليها، ومثال ذلك الحضارة الاسلامية[2].

والحضارة الكبى التي عرفها تاريخ البشرية تتفاوت فيما بينها في موقفها من المادية والروحية، فمنها ما يغلب عليه الجانب المادي، ومنها ما يغلب عليه الجانب الروحي، ومنها ما يسوده التوازن بينهما، فهي إذن سلسلة متعاقبة من الحضارات التي تخلى كل واحدة منها المجال لما سوف يتلوها من حضارة أخرى، مما جعل كثيرا من الباحثين في مجال دراسة الحضارات يذهبون الى القول بوجود التماثل والتطابق بين الكثير من هذه الحضارات والتماثل والتطابق لا يدعان مجالا لصراع[3].

[1]، د. عبد العزيز بن عثمان التويجري، صراع الحضارات في مفهوم الإسلامي، ط2، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الرياط، سنة 2015، ص 19

(*) فوكو ياما ولد سنة 1952 كاتب ومفكر امريكي المحافظين الجدد في أمريكا، اشتهر بكتابه " نهاية التاريخ والنسان الأخير" الذي الفه سنة 1992 بعد انهيار الاتحاد السوفياتي واكتسب هذا الكتاب شهرة عالمية واسعة.

[2]، المرجع نفسه، ص 20

[3]، المرجع نفسه، ص20

ب) الرأسمالية أرقى نموذج في الاقتصاد:

تتميز المسيرة الحالية للرأسمالية في معالمها الرئيسية بحرية تأمل الافراد على المنشآت في سوق البيع أو الشراء أو التصدير، أو الاستيراد، وغير ذلك من عقود التعامل بالسلع والخدمات التي يحتاجها السوق.

والمحرك الرئيسي لنشاط الرأسمالي المستحدث وتطوره هو الرغبة في الحصول على الربح الذي يؤمن ليس فقط تلبية الحاجات بل وأيضا المتعة والسيطرة او النفوذ، وجميعها اهداف ورغبات سيكولوجية إنسانية عامة بحيث تحرك نشاط الانسان وتدفعه دوما الى الامام[1].

كذلك نجد أن رأسمالية تغيرت من ناحية جعل صاحب راس المال في حرية تامة في ممارسة نشاطه الاقتصادي والتعاقد مع الغير، وتمتع العامل بحرية التعاقد والتكتل في نقابات واتحادات تسعى لحمايته من سيطرة أصحاب راس المال الميال لتمركز وفرض شروطهم المجحفة، ولكن تحقيق الحصول على هذا الحق يتوقف على الظروف والاحوال الاقتصادية العامة وفرص العمل المتاحة من جهة وموقف السلطة الحاكمة من جهة ثانية[2].

ويعني هذا أن التغيرات الحاصلة في اليات الإنتاج الرأسمالي مرتبطة بمجموعة التغييرات بين التكنولوجيا والتقنيات الجديدة التي تستولى على العمليات المالية بما فيها إدارة الإنتاج والتجارة الالكترونية على حد سواء، وتشكل هذه التقنيات سمات نجاح فتكون نتائج أخلاقية وتتمثل هذه الأخيرة عند البراغماتيين في كسب أموال طائلة وتطور مؤسسات قد تصل الى نجاح على مستوى العالم أي ان النتائج هي التي تحدد القيمة الأخلاقية للعمل، وقد لاحظنا ايضا ان الرأسمالية قد أعطت قيمة للعامل في اخذ الحرية التامة في عمله.

فاذا كانت الليبرالية الجديدة تعبيرا عن عودة الهيمنة المالية باعتبار ان الليبرالية من اهم نتائجها في مجال الاقتصاد هي العولمة وما تحمله من مضامين فكرية وقيم أخلاقية وانماط

[1]، د. حيدر غيبة، ماذا بعد الرأسمالية والشيوعية، ط2، شركة المطبوعات لتوزيع والنشر، بيروت -لبنان-، سنة 1995، ص14
[2]، المرجع نفسه، ص14

حضارية وهي تحمل الرغبة الغربية في السيطرة على كل الاتجاهات السياسية والاقتصادية والحضارية...الخ، بحيث ان هذه الليبرالية قد جاءت لتأكيد عن سمات الرأسمالية المهمة والتي تتمثل في حقوق أرباح المالكيين فقد لا تكون تحولاتها مثقلة بالغموض بنسبة اقل، لان الثورة الإدارية، بتحفيزها من جديد قد تطور الموظفين، تطمس بشكل اكبر حدود الانشقاق الرأسمالي "البروليتاري" فهي قد خلقت اشكال الملكية الجديدة في بداية القرن العشرين، وجعلت هناك مسافة ما بين المساهم والشركة، مشوهة بذلك مفهوم ملكية وسائل الإنتاج[1].

ورأت الرأسمالية المعاصرة التي يصفها البعض بالمؤسساتية ضرورة تركيز راس المال في أموال ضخمة " تقاعدية وتوظيف الأموال" تدار من قبل متخصصين، وبهذا فقد صمد تموضع المالك الرأسمالي مؤكد من جديد تفوقه، ولكن من خلال تحولات مؤسساتية تنتج من التوكيلات المتعددة وتحلها بطريقة معينة[2].

لقد حقق الرأسمالي المعاصر تقدم هائل في مجال التطور التكنولوجي في أدوات المستخدمة في الإنتاج، وكما افلحت في تحسين طرائق الإنتاج وتطويرها من خلال تقسيم العمل على مستويات العمال ورأس المال، وقد أدى ذلك الى تحسين نوعية الإنتاج وزيادة كميته زيادة كبيرة، وقد افلحت الدول الرأسمالية في إيجاد اسواق خارجية حرة لتسويق بضائعها عن طريق استعمار البلدان الضعيفة باعتبارهم يتميزون بفقر الانتاج، وقد أدى ذلك الى زيادة أرباح الطبقة البرجوازية وزيادة ثرواتها زيادة هائلة مما ساعد على ظهور الاحتكارات الكبيرة التي ترتكز بأيد اقلية.

وباختصار الرأسمالية نظام اقتصادي يقوم على أسس حرية النشاط الاقتصادية والتملك الفردي لوسائل الإنتاج المادية وحق التصرف بها واعتبار العمل سلعة يتحدد سعرها وفقا لقواعد العرض والطلب في السوق كسائر السلع[3].

[1]، جاك بيديه واوستاش كوفيلاكيس، معجم ماركس المعاصر (دراسات في الفكر الماركسي)، ت: سمية الجراح، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، سنة 2015، ص122

[2]، المرجع نفسه، ص 122

[3]، د. حيدر غيبة، ماذا بعد الرأسمالية والشيوعية، ط2، شركة المطبوعات لتوزيع والنشر، بيروت -لبنان-، سنة 1995، ص15

عملت الثورة العلمية والتكنولوجية على تغييرات هيكلية في اقتصاد البلدان الرأسمالية، وهي تغييرات نابعة بصفة خاصة من جوهر الثورة العلمية والتكنولوجية فتحسين المستمر في هذا التطور سوف تحل محلها باضطراد وسائل إنتاج إلكترونية ومبرمجة بالكمبيوتر والسبب في ذلك هو الإنتاجية العليا التي تحققها والمنتجات ذات الجودة أفضل وذلك بفضل دقتها، وتقاس دقة الإنتاج بالميكرونات مما يعني وفرا في الخامات والطاقة، وبالتالي فهي تمثل نفقات اقل فضلا عن أنها تكنولوجيا نظيفة بلا مداخن ولا عوامل يمكن أن تلوث البيئة[1].

والواقع أن هيكل كل القطاعات يتبدل ويتغير، فصناعة المعلومات او صناعة المعرفة قد دفعت الى نمو قطاع الخدمات والتعليم والعلم والثقافة حيث يتجاوز الآن معدلات نمو قطاعي الزراعة والثروة الحيوانية والصناعة، وتتجه الخدمات لتحل محل المنتجات بوصفها القطاع القائد للنمو والعمالة وتصبح التجارة في المعلومات أكبر من التجارة في المنتجات والخامات بمعنى يحدث تطور ملحوظ في القطاعات وتغيير على مستوى العام[2].

مع تطور الصناعة تعاد هيكلة قوة العمل، اذ يحل المهنيون والعمال العلميون والتكنولوجيون محل العمل اليدويين، بل يحل الإنسان الآلي محل كثير من العمال، ويجري ذلك بالتدريج لكن بثبات في مجلات الصناعة والمصارف والتجارة، كذلك تبسيط العملية الإنتاجية باستخدام الإلكترونيات يجعل قوة العمل أسهل في التشغيل[3].

بفضل الثورة العلمية والتكنولوجية تدخل الرأسمالية في عالم حضاري جديد، تتمثل حضارته في المعرفة التي تقوم على المعلومات بدلا من المواد الخام والوقود والموارد العمل البسيط للبشر، وتصبح المعلومات هي المورد الرئيسي لثروة المجتمع، وتصبح القوى المنتجة للمعرفة هي مفتاح تحديد وتجديد القوى المنتجة للمجتمع، ومن هنا نصل الى أن التطورات الحديثة في الاقتصاد

[1]، د. فؤاد مرسي، الرأسمالية تجدد نفسها، عالم المعرفة، الكويت، سنة 1990، ص56
[2]، المرجع نفسه، ص57
[3]، المرجع نفسه، ص59

الرأسمالي المعاصران ثورة العلم والتكنولوجيا تنمو لتصبح ثورة علم الانتا، وباندماج العلم والإنتاج يغزو التقدم التكنولوجي بالإضافة الى مجال الإنتاج ليغير حياة أناس اليومية وأوقات فراغهم[1].

3.في السياسة:

إن المتتبع لتاريخ الفكر السياسي، يجده موغل في القدم شانه في ذلك شان الفكر الإنساني عامة، وفي هذا صدد سنبرز الأخلاق التي تطورت في الفلسفة السياسة والتي تبلورت في جانب النظري والتي افرزت العديد من المفاهيم المجردة لظواهر السياسية ومدى الاستفادة من التعميمات في هذا المجال فإننا نشير الى ان الرؤية التجديدية للأخلاق في السياسة وخاصة في عصر المعاصر قد أصبح يمثل عامل جذب لكل المشتغلين والمهتمين بدراسة القضايا الاجتماعية على حد سواء بداية مع "تشومسكي"*.

فعادة ما تكون الأفكار السياسية التي تصدر عن أي مفكر معبر تعبيرا صادقا الى حد كبير عن الظروف الذاتية والموضوعية التي عاشها والأنظمة السياسية التي عاصرها، ومع ان تلك الأفكار تكون في الواقع صادرة عن العقل وتفكير الفيلسوف او المفكر السياسي فإنها بالمقابل تؤكد مدى تفاعل عقله مع المجتمع الذي يعيش فيه، فلا يمكن بأي حال ممارسة الفعل السياسي إلا في إطار مجتمع يتفاعل افراده مع بعضهم البعض[2]، من هنا تطورت الأنشطة السياسية في المجتمعات المعاصرة.

اهتم العالم تشومسكي بعدة أنشطة سياسية أثارت تطورات في أنحاء ولايات المتحدة الأمريكية وتكلم عنها في العديد من كتبه خاصة "ماذا يريد العم سام؟" بحيث سنتطرق الى الكثير

[1]، د. فؤاد مرسي، الرأسمالية تجدد نفسها، عالم المعرفة، الكويت، سنة 1990، ص 60

[2]، د. مولود زايد الطيب، علم الاجتماع السياسي، جامعة السابع من أبريل، ليبيا، سنة 2007، ص9

(*) تشومسكي: عالم لسانيات ذو الشهرة العالمية، والمدرس في معهد ماساتشوستس للتقنية حافظا دوما على مهنة ثانية كصوة مقنع لليسار المقاوم بالقوة الامبريالية الامريكية، ومهاجم الظلم الاقتصادي العالمي ومن اهم كتبه التي اشتهر بها "ماذا يريد العم سام؟". انظر الى: نعوم تشومسكي، الدول المارقة استخدام القوة في الشؤون العالمية، ت: أسامة إسبر، مكتبة العبيكان، الرياض، سنة 2004، ص5 (من مقدمة الكتاب).

من التطورات السياسية من ناحية الديمقراطية وحقوق الانسان وغيرها من التي شهدها المجتمع الأمريكي في هذه الفترة.

أ) الديمقراطية وحقوق الإنسان:

تعتبر الولاية المتحدة الامريكية أول مجتمع ديمقراطي في العصر الحديث وقد كان مثالا يحتذيه الأخرون منذ ذلك الحين وفي العديد من الأبعاد الحاسمة بالنسبة للديمقراطية الحقيقية صون حرية التعبير على سبيل المثال تصدرت الولايات المتحدة الأمريكية الصفوف بين سائر المجتمعات في العالم[1] بيد ان هناك أسباب وجيهة قد تكون في إعطاء الحرية للإنسان والحق الانتخابات بتوفير التكنولوجيا الحديثة في المؤسسات الاقتصادية وغيرها.

توصل أبرز فيلسوف اجتماعي أمريكي في القرن العشرين، ألا وهو جون ديوي، الى استنتاج مؤداه "أن السياسة هي ظل مشاريع الاعمال الضخمة على المجتمع" وستبقى كذلك مادامت السلطة مقيمة في "الاعمال الهادفة الى الربح الخاص وذلك من خلال الهيمنة الفردية على المصارف والأراضي والصناعة، معززة بالسيطرة على الصحافة والعاملين في الصحافة وسواها من وسائط الإعلان والدعاية" وعليه، فإن الإصلاحات وحدها لا تكفي، بل لا بد من اجراء تغييرات اجتماعية جوهرية بالضرورة للوصل الى ديمقراطية ذات معنى[2].

في السنوات الأخير، منحت الشركات الحقوق التي تتجاوز حقوق الأشخاص، فبمقتضى قواعد منظمة التجارة العالمية، تستطيع الشركات ان تطلب ما يدعى بحق المعاملة القومية، وهذا يعني مثلا أن شركة جنرال متورز، إذا كانت تعمل في المكسيك، تستطيع ان تطلب بأن تعامل كشركة مكسيكية، ولا يملك الآن هذا الحق إلا الأشخاص الخالدون وليس من حق البشر من لحم

[1]، نعوم تشومسكي، الدول الفاشلة (إساءة استعمال القوة والتعدي على الديمقراطية)، ت: سامي الكعكعي، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان-، سنة 2007، ص 252
[2]، المرجع نفسه، ص 253

ودم، لا يستطيع مكسيكي ان يأتي الى نيويورك ويطلب المعاملة القومية وينجح، لكن الشركات تستطيع[1].

يتفاخر الغرب عموما، والولايات المتحدة خصوصا، بسجلهم في حقوق الانسان، وكلمة الإنسان هنا لها معنى خاص جدا، غالبا ما ينحصر في الرجل الأبيض، وما شابه ذلك بتفاخر الغرب بديمقراطية أثينا القديمة سكانها محرومين من حق المشاركة السياسية.

جاء في دستور أمريكا أن الزنوج والهنود لا يحق لهم الانتخاب، ولكن الزنوج الواحد منهم بثلاثة اخماس الرجل الأبيض لأغراض تعداد الولاية، ومن ثم تحديد نسبة نوابها وضرائبها، ام في وثيقة الحقوق، أضافت حقوق مدينة للرجل الأبيض بخصوص حرية الأديان والكلمة والصحافة، وحقه ألا يعتقل إلا بسبب، وحقه في محاكمة سريعة واستدعاء المحامين لدفاع عنه[2].

أما في تاريخ المعاصر حصل السود بعد ذلك في كفاحهم المرير على كثير من الحقوق، ولكن لا يختلف أحد بشأن أنهم الجنس الأدنى قي الحياة الأمريكية، فمازالت أحياء ومدارس، يل وكنائس السود شاهدا على ذلك[3].

مما يتضح الآن أن المجتمعات المعاصرة قد جعلت للإنسان قيمة في بيئته بإعطاء كل حقوقه التامة في الانتخاب أو في المحكمات أو العمل في المؤسسات لخدمة أنفسهم.

[1]، نعوم تشومسكي، الدول المارقة استخدام القوة في الشؤون العالمية، ت: أسامة إسبر، مكتبة العبيكان، الرياض، سنة 2004، ص 458

[2]، نعوم تشومسكي، ماذا يريد العم سام؟، ت: عادل معلم، ط1، دار الشروق القاهرة، سنة 1998، ص91، 92، 93

[3]، المرجع نفسه، ص94

ب) عولمة الفكر الغربي في جميع مجالات:

فما يسمى "بالعولمة" وهو أمر جديد لا يمكن انكاره، إنما يرد الى سيادة الشركات العابرة للقارات التي ستفضى في النهاية الى تحطيم قدرات الدولة القومية، ومنها أمريكا نفسها، والى تعظيم النزاعات الداخلية في نطاق الدولة الواحدة لإضعاف مقاومتها لسيادة السوق العالمي، ولم يكن سقوط اتحاد السوفيتي سببا في استفحال العولمة، فقد انعقد في طوكيو مؤتمر السياسة النقدية والمالية العالمية، قبل ذلك بسنوات، وأصبح الهيكل العالمي الاقتصادي ناميا بمعدل يفوق نمو الاقتصاد القومي الأمريكي الذي تراجعت نسبته من 42% الى 25% في الأعوام الأخيرة من معدل الناتج الإجمالي العالمي[1].

ولم يعد الإنتاج داخل المصنع في دولة واحدة، بل توزعت أجزاء السلع الى أنصبة مختلفة تنتجها دول متعددة ويمكن القول على سبيل الإيجاز بأن العولمة تعنى مصنع عالمي واحد، وسوق عالمي واحد تهيمن عليه على تلك الشركات الهائلة العابرة للقارات، وما يسمى بالقرية العالمية وهي قرية مالية تفتقد علاقات القرية وتقاليدها الإنسانية[2].

حيث يقول تشومسكي في كتابه "ماذا يريد العم سام؟": "أصبح العالم كله قرية، ما أجمل هذا الشعار الجديد، الذي يردده الساسة، ورجال الأعمال والاعلام في الولايات المتحدة"، وبما ان العالم قرية واحدة، لا تفصله حدود، فيجب أن تتوافر لرؤوس الأموال الحرية الكاملة في الدخول والخروج من أي بلد، حيث يقول تشومسكي: "يجب ألا يزعج رأس المال ولا يخيفه أحد، كما تعلمنا وحفظنا رأس المال ويجب علينا أن نحترم ذلك الجبن، كذلك يجب أن تفتح كل الأسواق خاصة أسواق دول النامية، أمام كل أنواع المنتجات، ألسنا نعيش كلنا في قرية واحدة؟"[3].

---

[1]، صامويل هنتنجتون، صدام الحضارات (إعادة صنع النظام العالمي)، ت: طلعت شيب، ط2، سنة 1999، ص 19

[2]، المرجع نفسه، 19

[3]، نعوم تشومسكي، ماذا يريد العم سام؟، ت: عادل معلم، ط1، دار الشروق القاهرة، سنة 1998، ص99

ولكن ما سبق لا ينطبق على ما يسمى بالتكنولوجيا، خاصة المتقدمة منها، ولا تتوقف العولمة عند رؤوس الأموال والمنتجات، بل تعدتها الى أسلوب الحياة، فلا بد لقيم الولايات المتحدة أن تسود في العالم كله وذلك في حرية التجارة والسوق[1]، باعتبارها حققت ميزانية فائضة وتطور في كافات القطاعات والمجالات من سياسة واقتصاد... وغيرها فعند البراغماتية لا تهتم صدق الرئيس واخلاقياته وسياساته، سواء كانت محلية او دولية المهم أنهم حققوا نجاح وتطور للمجتمع الأمريكي.

من هنا نجد أن العولمة لم تقتصر فقط على البعد المالي والاقتصادي بل تعدت ذلك الى البعد حيوي ثقافي متمثل القيم والتقاليد والعادات باعتبارها شاملة لكل مجالات والقطاعات بحيث تجعلها عالمية كما قال تشومسكي أصبح عالم قرية صغيرة حيث تكتسب العلاقات الاجتماعية بين الدول خاصة المتطورة وكأنها بلد واحد.

[1]، نعوم تشومسكي، ماذا يريد العم سام؟، ت: عادل معلم، ط1، دار الشروق القاهرة، سنة 1998، ص 100

الخاتمة

وأخيرا لقد منّ الله علينا الوصول الى هذا المنتوج الثقافي الذي عنوانّاه ب "**فلسفة القيم في فكر جون ديوي التربوي**" وأهم ما يمكن الوصول إليه من خلاصات واستنتاجات ما يلي:

حيث نجد في هذا البحث قد تطرقنا في بدايته على أهم فيلسوف أمريكي وغربي على العموم ومعاصر والذي يعد أحد أركان الفلسفة البراغماتية المعاصرة "جون ديوي"، وعلى مساره الدراسي والأعمال التي قام بها لتطوير فلسفته كذلك على أهم المؤثرات التي تأثر بها في العالم الغربي خاصة نظرية داروين التي ساعدته في تطوير فلسفته العملية ومناهجها وهذا من أجل إحداث التغيير في الواقع وبناء المجتمع الذي يتكيف أفراده مع كل التغيرات التي تطرأ عليه، ومواكبة التطورات التي أحدثها التقدم العلمي والصناعي، وهذا ما أكد لنا أن أفكار "ديوي" في بناء المجتمع المعاصر والتطورات التي أنتجها التقدم العلمي والتكنولوجي.

كما تطرقنا الى فلسفة القيم عنده وكيف حققت أفكاره أهمية حيث تعمل القيم على الاهتمام بالإنسان وتنميته ليعيش في مجتمع خلوق ومتطور فإن غابت هذه القيم فإن الإنسان يغترب عن ذاته وعن مجتمعه ويفقد دوافعه مما يؤدي هذا الاضطراب الى تفكك وانهيار المجتمعات فهي التي تحفظ للمجتمع استقراره وكيانه، بحيث نجد أن القيم تلعب دورا مهم على مستوى الفرد والمجتمع.

هذا ما جعل ديوي يركز على فلسفة القيم باعتبارها تدعو الى التطور والتغير، كذلك تحدثنا عن الخلفية الفلسفية التي ارتكز عليها ديوي في بناء فلسفته.

وفي الأخير كان محتواه يركز على القيم الأخلاقية وتطورها في المجتمعات الغربية المعاصرة خاصة في الولايات المتحدة الامريكية من ناحية الفن والجمال حيث أصبح الفن يتجه نحو المادية، وكذلك في مجال الاقتصاد حيث تطورت قيم الرأسمالية تطور رهيب نحو المادية المتوحشة.

أما في مجال الصناعة والتكنولوجيا فقد كان السباق الرهيب نحو التسلح او التجارة التي لا تعرف الكساد وغيرها.

وفي السياسة فقد كان ديوي من اشد المدافعين عن القيم الديمقراطية وحقوق الانسان وحقوق الأقليات، وعولمة الفكر الغربي في جميع المجلات.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر:

1. جون ديوي، المدرسة والمجتمع، ت: احمد حسن الرحيم، ط2، مكتبة الحياة، بيروت _لبنان_، سنة 1978
2. جون ديوي، الفن خبرة، ت: زكريا إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، سنة 2011
3. جون ديوي، الحرية والثقافة، تر: امين مرسي قنديل، مطبعة التحرير، القاهرة _مصر_، سنة 1954
4. جون ديوي، البحث في اليقين، ت: احمد فؤاد الاهواني، طبع بالهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية، القاهرة، سنة 2015
5. جون ديوي، الديمقراطية والتربية، ت: منى العفراوي وزكريا ميخائيل، ط2، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة _مصر_، سنة 1954

ثانيا: المراجع:

1. د. كفاء يحي صالد العسكري، الغزالي وجون ديوي نظرتهم الطبيعية والإنسانية، منشورات شبكة العلوم النفسية والعربية، العدد 2، سنة 2013
2. د. احمد فؤاد الأهواني، نوابغ الفكر الغربي جون ديوي، ط3، دار المعارف، القاهرة، سنة 1968
3. ول ديورانت، قصة الفلسفة من افلاطون الى جون ديوي، ت: د. فتح الله محمد لمشعشع، ط6، مكتبة المعارف، بيروت، سنة 1861
4. د. زكريا اسماعيل أبو الضبعات، الديمقراطية وفلسفة التربية، ط1، دار الفكر ناشرون وموزعون، عمان، سنة 2009

5. د. منتهى عبد الجاسم، معيار العلم والأخلاق في الفلسفة البراغماتية، ط1، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان، سنة 2013
6. تشارلز داروين، كتاب أصل الأنواع، ت: مجدى محمود المليجي، ط1، حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2004
7. يول. ف. بولر، الحرية والقدر في الفكر الأمريكي من ادواردز الى ديوي، ت: إسماعيل كشمير، مكتبة الانجلو المصرية، سنة 1987.
8. د. عادل العوا، العمدة في فلسفة القيم، ط 1، دار طلاس للدراسات والترجمة، دمشق، سنة 1986.
9. فؤاد كامل، اعلام الفكر الفلسفي المعاصر، ط1، دار الجيل، بيروت، سنة 1993
10. د. الربيع ميمون، نظرية القيم في الفكر المعاصر بين النسبية والمطلقة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، سنة 1980
11. القرآن الكريم، سورة البينة.
12. د. محمد جديدي، فلسفة الخبرة "جون ديوي نموذجا"، ط1، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، سنة 2004
13. د. عبد الكريم علي اليماني، فلسفة القيم التربوية، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، سنة 2009
14. ابيقور، الرسائل والحكم، ت: جلال الدين السعيد، دار العربية للكتاب
15. د. مولود زايد الطيب، علم الاجتماع السياسي، جامعة السابع من أبريل، ليبيا، سنة 2007
16. د. نور الدين حاروش، تاريخ الفكر السياسي، ط2، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، سنة 2010

17. د. امام عبد الفاتح امام، توماس هوبز فيلسوف العقلانية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، سنة 1985

18. نبيل عبد اللطيف، فلسفة القيم "نماذج نيتشوية"، ط1، التنوير لطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، سنة 2010

19. ماكس فيبر، الاخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية، ت: محمد علي مقلد، مركز الانماء القومي، لبنان.

20. د. مصطفى عبده، فلسفة الاخلاق، ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة، سنة 1999

21. اميرة حلمي مطر، مدخل الى علم الجمال وفلسفة الفن، ط1، دار التنوير لنشر وطباعة، لبنان، سنة 2013

22. د. حيدر غيبة، ماذا بعد الرأسمالية والشيوعية، ط2، شركة المطبوعات لتوزيع والنشر، بيروت –لبنان–، سنة 1995

23. د. عبد العزيز بن عثمان التويجري، صراع الحضارات في مفهوم الإسلامي، ط2، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الرياط، سنة 2015.

24. نعوم تشومسكي، الدول الفاشلة (إساءة استعمال القوة والتعدي على الديمقراطية)، ت: سامي الكعكعي، دار الكتاب العربي، بيروت–لبنان–، سنة 2007.

25. نعوم تشومسكي، الدول المارقة استخدام القوة في الشؤون العالمية، ت: أسامة إسبر، مكتبة العبيكان، الرياض، سنة 2004.

26. نعوم تشومسكي، ماذا يريد العم سام؟، ت: عادل معلم، ط1، دار الشروق القاهرة، سنة 1998.

27. د. فؤاد مرسي، الرأسمالية تجدد نفسها، عالم المعرفة، الكويت، سنة 1990.

28. صامويل هنتنجتون، صدام الحضارات (إعادة صنع النظام العالمي)، ت: طلعت شيب، ط2، سنة 1999.

29. جاك بيديه وأوستاش كوفيلاكيس، معجم ماركس المعاصر (دراسات في الفكر الماركسي)، ت: سمية الجراح، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، سنة 2015.

قائمة الدوريات:

1. البار عبد الحفيظ، فلسفة التربية عند جون ديوي، مذكرة لنيل الماجستير في الفلسفة، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، 59 قسنطينة، 2009.

قائمة القواميس:

1. رالف ن. وين، قاموس جون ديوي للتربية "مختارات من مؤلفاته "، ترجمة محمد علي العريان، مكتبة الأنجلو مصرية مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة– نيويورك، سنة 1964

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
إهداء	
شكر وعرفان	
مقدمة	أ– د
الفصل الأول: جون ديوي والعوامل المؤثرة في نشأته	
أولاً: جون ديوي المفكر والفيلسوف	7
1. حياته ونشأته	7
أ) مولده	7
ب) تعليمه	8
ج) مسار حياته	10
2. مصنفاته	13
ثانياً: المرجعية الفكرية لجون ديوي	15
1. أثر نظرية داروين	15
2. أثر نظرية السلوكية "جون واطسون"	21
الفصل الثاني: أسس فلسفة القيم عند ديوي	
أولاً: المدلول اللغوي والاصطلاحي للقيم	27
1. المدلول اللغوي	27
2.المدلول الاصطلاحي عند جون ديوي	30
ثانياً: الخلفية الفلسفية والتاريخية لمفهوم القيمة عند جون ديوي	32
1. في الفلسفة اليونانية	32
أ) رفض المنطق الأرسطي	32
ب) مبدأ الفضيلة المثالية عند أفلاطون	38
ج) فلسفة اللذة والسعادة عند الفيلسوف أبيقور	39
2. في فلسفة القرن الوسيط	41

أ) ماكيافيللي	41
ب) هوبز	42
3. في فلسفة الحديثة	43
أ) نيتشه	43
ب) المذهب البروتستانتية (فلاسفة الإصلاح الديني)	44
الفصل الثالث: النزعة القيمية بعد جون ديوي	
أولا: الرؤية التجديدية للأخلاق في فلسفة المعاصرة	48
1. في الفن والجمال	50
2. في الاقتصاد	53
أ) صراع الحضارات	53
ب) الرأسمالية أرقى نموذج في الاقتصاد	55
3. في السياسة	58
أ) الديمقراطية وحقوق الإنسان	59
ب) عولمة الفكر الغربي في جميع المجالات	61
الخاتمة	64
قائمة المصادر والمراجع	67
فهرس المحتويات	73-72

ملخص الدراسة

وفي الأخير ما يمكن ان نستخلصه حول هذا البحث "**فلسفة القيم في فكر جون ديوي التربوي**" المعمق الذي يحتاج للإلمام من كل جوانب ودراسات حول الموضوع، غير ان فلسفة القيم قد لعبت دور مهم في الفلسفة المعاصرة خاصة مع فيلسوف أمريكي جون ديوي الذي يعتبر من أهم رواد الفلسفة البراغماتية فمن خلال خبرته الفلسفية لاحظت أنه قد اعطى أهمية للقيم في عدة مجالات منها الفن والجمال والاقتصاد و السياسة وغيرها، حيث دعا الى التطور والتغير في سلوك الإنسان داخل بيئته، كما يقر بتغير القيم في معناها و وظيفتها وذلك بالتجديد في القيم الأخلاقية وتحولها من الثبات الى النسبية وبما يتوافق مع تطور الإنسان واتساع معارفه وخبراته في الحياة.

الكلمات المفتاحية

القيمة، الأخلاق، الفلسفة العملية، القيم الأخلاقية، فلسفة القيم، البراغماتية.

Résumé de l'étude

Enfin, on peut déduire de cette recherche la **"philosophie des valeurs dans la pensée éducative de John Dewey"**, une connaissance approfondie de tous les aspects et de toutes les études sur le sujet, mais la philosophie des valeurs a joué un rôle important dans la philosophie contemporaine, en particulier avec le philosophe américain John Dewey, qui est l'un des plus importants. Les pionniers de la philosophie pragmatique, par son expérience philosophique, ont noté qu'il avait attaché de l'importance aux valeurs dans plusieurs domaines, dont l'art, la beauté, l'économie, la politique, etc., où il avait appelé à l'évolution et au changement du comportement humain dans son environnement, tout en reconnaissant les valeurs changeantes dans leur sens et leur fonction. Stabilité à la relativité et Mathew VQ avec l'évolution humaine et l'étendue des connaissances et de l'expérience dans la vie.

Les mots clés

Valeur, éthique, philosophie pratique, valeurs morales, philosophie des valeurs, pragmatisme.